فلسفة

أندرو شافر

فلاسفة عظماء فشلوا في الحب

ترجمة: وعد العريض



Great Philosophers Who Failed at Love



Andrew Shaffer

فلاسفة عظماء فشلوا في الحب

ترجمة: وعد العريض





الكتاب
فلاسفة عظماء فشلوا في الحب

المؤلف
أندرو شافر

الطبعة الأولى :2021

الترقيم الدولي
978-603-91498-6-6

رقم الإيداع
1442/2022

E-mail: admin@page-7.com
Website: www.page-7.com
Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل، شارع مشهور
المملكة العربية السعودية

«الشخص الذي لا يتخذ الحب نقطة بداية لن يعرف أبدا ما هي الفلسفة».

آلان باديو....

المحتويات

مقدمة

«من المؤنس دومًا معرفة أنك مهما كنت قد أفسدت حياتك العاطفية، فإن هناك من أفسدها بشكل أسوأ، وبشدّة».

نيل بولاك

لدينا جميعًا تساؤلات حول الحب، ونريد أن نعرف الأسرار [المؤدية إلى علاقة ناجحة؛ فعادة ما نطرحُ أسئلة من قبيل: هل هي «الفتاة المنشودة»؟ هل يصح أن أواعد رئيسي في العمل؟ كيف أعرف إن كان زوجي يخونني؟ ويبدو أنه من البديهي أن نقوم بالبحث عن الحُكماء من الرجال والنساء للإجابة عن هذه الأسئلة.

لقد فكّر العلماء في أكثر الأسئلة تعقيدًا، ابتداءً بالمبادئ الأخلاقية مرورًا بالسياسة إلى بداية الوجود. فإن كان هنالك من يمكنه أن يعلمنا حول مفهوم مجرّد مثل الحب، فلا شك في أن الفلاسفة - «عشاق الحِكمة»[1] الأصلين - على رأس القائمة. ولكن عشاق الحكمة والعشاق الحكماء أمران مختلفان كما تبين لنا.

ولو فشل معظمنا في الحب في مرحلة ما من حياته، فلقصص العديد

---

(1). تنقسم كلمة "فلسفة" حرفيًا إلى مقطعين: "فيلو"، ويعني "حب". و"صوفيا"، وتعني الحكمة.

من الفلاسفة في الغراميات العسيرة والفاشلة مكانة أسوأ. لربما نسيت ذكرى زواجك، لكنك لم تقم – على الأقل - بخنق زوجتك **(لويس ألتوسير)**، ولم تتبنَّ عشيقتك كإبنة في البداية **(جان بول سارتر)**، ولم تنفَ إلى دولة أخرى بسبب علاقة غرامية كما حدثَ معَ **(سينكا الأصغر)**.

لقد أفسدَ عظماء فلاسفة الغرب – الرجال والنساء الذين نالت بهلواناتهم الفكرية الثناء في مقررات مقدمة إلى الفلسفة – علاقاتهم بسبب جنوحهم الفكري. إذ تجدهم – في الحب أو من دونه – حادّي النقد ومتواضعين ومتكبرين. نظرياتهم بلا خلل، ومواقفهم متناقضة، وأسئلتهم النفاذة مزعجة. وبسبب هذه التقلبات المزاجية، بات الفلاسفة خطّابًا غير مناسبين، وليس من المفاجئ أن العديد من الفلاسفة ترك شأن الحب برمته.

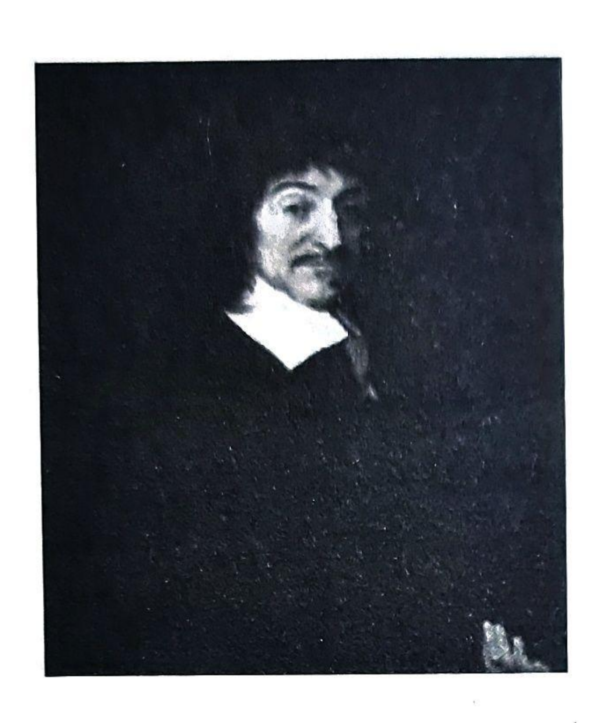
وفي حين أن الكثير من الفلاسفة قد ماتوا ببؤس ومرارة ووحدة، إلا أن القليل منهم قد تجاوز إخفاقاته ليحظى بزواج سعيد. فهذا ما حدثَ مع **ألبير كامو** الذي مات مبكرًا بسبب حادث سيارة قبل أن تكتشف زوجته عشيقاته اللاتي كان يخفيهن في كل مكان. أو **هنري وارد بيتشر**، الزوج الخائن سيء السمعة في القرن الثامن عشر، الذي كانت زوجته مشغولة جدًا بتربية أبنائه العشرة حتى أنها لم تحظ بفرصة التفكير بتطليقه. أو **برتراند راسل**، الذي اكتشف في دراسته مسألة الزّواج أن رابع زواج هو الثابت.

والحقيقة أن هذا الكتاب على عينة من آلاف ذوي عقول عظيمة وفشلوا في الحب. ففي كل حقبة من حقب التاريخ، نجد أن أصحاب العقول الكبيرة وأصحاب القلوب المنفطرة يسيرون معًا، وكلما عظم شأن

الشخص كانت خيبته أكبر. لعل «**بوب ديلان**» كان أكثر الناس حكمة حين قال: «لا يمكنك أن تقع في الحب وتبلغَ الحكمة في الوقت ذاته».

بيتر أبيلارد

(1079 ـ 1142)



«لا ينبغي على أي عاشق أن يحذو حذوي، فالمرأة حين تُرفض تُصبح مخلوق فظيع».

دحض المعلم الفرنسي بيتر **أبيلارد** «كل مسلمات العصر» بطرافته الفلسفية وتقديره الشخصي. وفي أوج شهرته، بعد حجاج مدرّسيه وهزمهم في الجدل العقلي وتأسيس مدرسته الخاصة، قبل أبيلارد منصبه في مدرسة كاتدرائيّة نوتردام في باريس عام 1115. جلبت محاضراته حول الفلسفة الإغريقية وعلم اللاهوت المسيحي الآلاف من الطلاب، لكن التي برزت من تلك الحشود فتاة اسمها هيلواز

دارجنتييه في السابعة عشر عامًا. وكما كتب في مذكراته «رأيتها، فأحببتها، وعزمت على أن أجعلها تحبني».

كانت هيلوز تعيش مع عمها فولبيرت، وهو قسٌ في الكاتدرائية لا مجالَ للعبث معه. كان ذلك مجرد مثال بسيط على التحديات أمام أبيلارد الذي قامَ بالتّخطيط ليسرق هيلوز من بين أنظار عمّها القس. كتب أبيلارد «لقد كنت مغرورًا في اختياري (فتاة تناسبني)، وكنت أتمنى أن أواجه بعض الصعوبات التي يمكنني تخطيها والتّغلب عليها بكل شرف وسعادة». فصادق فولبيرت من خلال معارف مشتركين، وبضربة حظ، عيّنه فولبير كي يدرس هيلوز في الفلسفة. كتب أبيلارد «هل يمكنكم تصديق ذلك؟ لقد سمح لي بتناول الطعام على طاولته ووهبني غرفة في منزله. وبذلك، سنحت لي فرصة أن أكون معها على انفراد».. لقد كان سعيدًا جدًا بنفسه؟

وقعت هيلوز في حب معلمها الذي كان في ضعف عمرها، وسرعان ما تحوّلت جلسات الدروس التعليميّة إلى جسديّة. ومع مضيّ فترة قصيرة لم يعد بإمكان حبهما أن يقتصر فقط على ساعات الدروس النهارية، فصارًا يسترقان اللّقاء ليلًا لـ«يكتشفَا مشاعرهما المتبادلة». وكما صرّح أحد المعاصرين لأبيلارد، أن هذا المعلم «قد علمها أن تمارس الحب دون مجادلة». لقد انتشرت أخبار علاقة أبيلارد وهيلواز الغرامية في كافة أنحاء باريس إلى أن وصلت إلى مسامع فولبيرت، فطرد العم الغاضب المعلم من منزله إلى الشارع.

رفض أبيلارد التخلي عن معشوقته الشابة. فاستأجر شقة قريبة من منزل فوليبرت، والتقى بخادمة هيلوز التي تدعى أغاتون، وطلب منها

أن تكون الوسيطة بينه وبين هيلوز. ولكن لسوء حظ أبيلارد، كانت للخادمة مشاعر أخرى نحوه:

إني مغرمة بك يا أبيلارد. أعلم أنك تعشق هيلوز، وأنا لا ألومك على هذا، كل ما أرجوه أن أنال المرتبة الثانية في قلبك. لا ترهق نفسك بالتورع، فرجل مثلك عليه أن يحب عدة أشخاص في الوقت ذاته، فإن مضت واحدة منهنّ لا يبقى وحيدًا.

يبدو ذلك عرضًا منطقيًا، أليس كذلك؟ ولكن ليس لأبيلارد، صاحب القلب الذي تملكه امرأة واحدة فقط. لقد ألقى بعروض أغاتون جانبًا، فقامت الخادمة الحاقدة بفضح ما يقومُ به أبيلارد من سعي خلف هيلوز عبر الوشاية إلى فوليبرت. فكتب [أبيلارد] **«المرأة حين تُرفض مخلوق فظيع»** تعليقًا على ما قامت به الخادمة.

أدخل كلام أغاتون العم في نوبة غضب شديدة بسبب فشله في إعادة أبيلارد إلى رشده. فعلى ما يبدو أن العاشقين لم ينفصلا مطلقًا، وما زاد المشكلة تعقيدًا أن هيلواز كانت حبلى. فقام أبيلارد، وقد عيل صبره، بالفعل الوحيد المنطقي: فقد قام بكسر جدار منزل فولبيرت، واختطف هيلواز تحت جنح الليل بمخاطرة شديدة. ووجدَ لها مخبأً في مسقط رأسه، بريتاني، حيث أنجبت طفلهما الناتج عن ليلة غرام[2].

بدأ أبيلارد بالتفكير مرة أخرى بسبب خوفه من الفضيحة، إذ لعله

---

(2) . سُمّي طفلهما "أسترالاب" تيمنًا بالأسطرلاب، الآلة الفلكية الشائعة في القرن الثاني عشر. لم يتخلّ عنه والداه فقط عند عمته، بل جعلا من المستحيل نطق اسمه دون تذكر أعضاء الأنثى المحتشمة، وقد عرضت هذه المشكلة حين استخدم اسمه بالتهجئة اللاتينية Astralabius.

قد تهور بتصرفه. فأراد أن يقلل نسبة التوتر مع العم، فتقدم للزواج من هيلواز. كانت الدهشة في قبول فولبرت الصلح، فتم زواج أبيلارد وهيلوز في حفلة صغيرة سرية.

كانت هيلواز ضد زواجهما، وعلى إيمان بأن ما بينهما كان أسمى وأعمق من مجرد عقد زواج قد يستنزف مشاعرهما المتأججة. إذ قالت: «هل يمكن لهذه الموافقة أن تجعلني أظل أرى نفسي عشيقتك لا زوجتك؟ إن صياح الأطفال والاهتمام بالعائلة لا يتماشيان نهائيًا مع ما تتطلبه الدراسة». كان جزءٌ من هذا الكلام صحيحًا - فقد كان أبيلارد ذاته يهمل دروسه الفلسفية حينما يكون في البيت. وافق على مضض على طلب زوجته وأرسلها بعيدًا إلى دير للراهبات. وانتهى المطاف بإبنهما تحت رعاية أخت هيلوز.

كتب المؤرخون عمّا حدث بعد ذلك بدقة «إنها مناسبة لم يعامل فيها أبيلارد بطيبة».، إذ عندما اكتشف فيوليت أن ابنة أخيه أُرسلت إلى الدير، قام بإخصاء أبيلارد بطريقة تقشعر منها الأبدان، وكتب أبيلارد مرتاحًا:

دخل علي قاتل مأجور في غرفتي في جنح الليل وبيده موس حلاقة، فوجدني أغطّ في نوم عميق. لقد عانيت من أعظم عقاب مخز يمكن لأي عدو أن يتخيله. باختصار، جعلني أفقد رجولتي دون أن أفقد حياتي.

في أحد أعظم الأمثلة المدونة إطلاقًا على التفكير الإيجابي، اعتبر أبيلارد هذا الإخصاء عقابًا لنفسه ليتخلص من فسوق الماضي، ووجد

لنفسه مكانًا في الدّير ليتمكن أخيرًا من الكتابة عما في قلبه. «لقد وجدت في الفلسفة وعلوم الدين علاجًا من العار وبحثت عن ملجإ ليحفظني من الحب».

كانت هيلواز تكتب كثيرًا لزوجها البعيد عن ناظريها حتى باتت رسائلهما عظيمة في حد ذاتها. كتبت له في أحد الرسائل، «لا يمكنني أن أعيش إن لم تخبرني بأنك مازلت تحبني»، كما أنها أضافت إلى الرسالة أنها تحبه لشخصه لا لرجولته - وليذهب الإخصاء إلى الجحيم.

مع تطور الرسائل بينهما بمرور السنوات، تحولت طريقة كتابة أبيلارد من العاشق إلى القِس. وفي واحدة من آخر الرسائل التي كتبها إلى هيلوز، كان يقنعها بأن تكرس حياتها للمسيح وتنسى أمر الحب، فقال «في النهاية عليك أن تكرّسي كافة جهودك لتطهير نفسك، ويجب أن يكون هذا الأمر هو كل ما يشغل بالك. ابتعدي عنّي واطرديني من قلبك».

أكمل أبيلارد دراساته وبنى ديرًا، أما هيلواز، فقد رفضت أن تبعده عن قلبها، وعاشت بعيدة عنه اثنتي وعشرين سنة ثم دُفنت بجواره في ساحة الدير.

بكلماته

نحن ثنائي رائع.

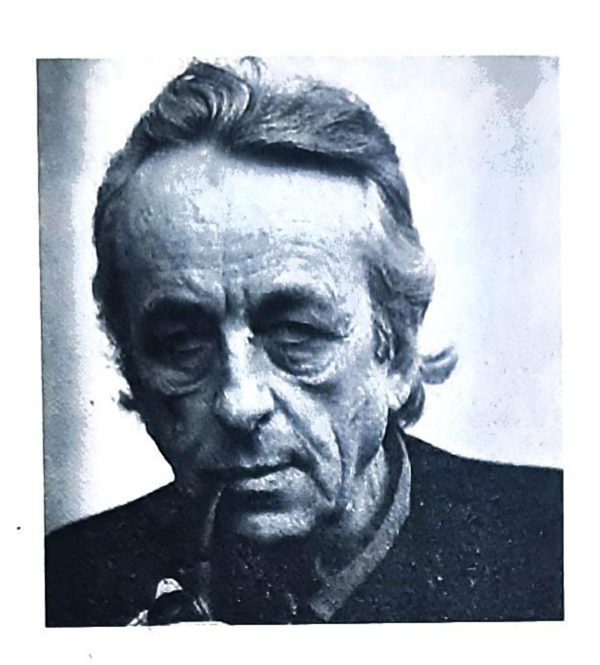


أفسدت علاقة أبيلارد الغرامية مع طالبته عاداته الدراسية. فبدلًا من القراءة والكتابة عن الفلسفة، كان يضيع الكثير من الوقت في كتابة

القصائد الغزلية. ومن المدهش أيضًا أنه قد تبين لنا بأنه شاعر بموهبة غير عادية. فمن خلال انتشار قصائد أبيلارد، أصبح الشباب يتلقون «إعجابًا» من الشابات اليافعات. وكما أوضح أبيلارد الذي ازدهر لفترة وجيزة، «إن الذين كانوا غارقين في الحب كما كنت أنا، سيعتزون بقراءة (قصائدي)، فمن خلال كتابة أفكاري وأبياتي سيحصلون على أشياء تعجبهم لم يكونوا ليحصلوا عليها لولاي». لحسن الحظ، ولأجل تعقب الفتيات، أصبحت قصائده خالدة.

لويس ألتوسير

(1918 ـ 1990)



«وجود الأجساد مصيبة، ووجود الأعضاء التناسلية مصيبة أعظم».

كان **لويس ألتوسير** بتولًا في الثلاثين حين التقى **بهيلين رايتمان** البالغة من العمر ثمانيَ وثلاثين سنة. عرفت المرأة الأكبر سنًا ذلك الفيلسوف الفرنسي على عالم جنسي جريء جديد لربما لم يكن جاهزًا لها. إذ بعد أن ضاجع ألتوسير هيلين للمرة الأولى، صار عقله مشوشًا إلى درجة الوقوع في اكتئاب شديد تطلب منه المكوث في المستشفى والتّداوي من الصدمة. لكن رغم هذه البداية، تقبل ألتوسير الجنس جزءا من حياته وتزوج هيلين.

وفي الحقيقة، يبدو أن هيلين قد علمت عشيقها الشاب أكثر من اللازم، إلى درجة أنه سرعان ما خانها مع امرأة أخرى. تشوه زواجهما بكثرة المشاجرات، وباتت هيلين تهدد بالانتحار بين فترة وأخرى، وما كان لهما أصدقاء حقيقيون سوى وعودهما الزوجية التي قطعاها. لم يكن ذلك في صالح وضع ألتوسير الهش عقليًا، إذ تطلب العناية الطبية في المستشفى إضافة إلى جلسات علاج نفسي مكثف.

من المدهش أن ألتوسير كان قادرًا على التدريس رغم كل ما كان يمرّ به، فقد كان يلقي المحاضرات لأكثر من ثلاثين سنة في مدرسة المعلمين العليا في باريس مزودًا جيلًا كاملًا من الفلاسفة الفرنسيين بالإلهام من فلسفته الماركسية الراديكالية.

انقلبت حياة ألتوسير رأسًا على عقب في بواكر صباح يوم أحد عام 1980، وذلك حين قتل زوجته «عن طريق الخطإ». وكما كتب بارتباك شديد:

كنت أُدلّك رقبتها بينما أنا جاثٍ ومائل باتجاه جسدها، فلطالما قمت بتدليك مؤخرة عنقها وظهرها...

لكن في تلك المرة كنت أدلك حلقها...

كان وجه هيلين هادئًا بلا حراك؛ وعيناها مفتوحتين تحدقان في السّقف.

انتابتني نوبة رعب دون سابق إنذار جراء الصدمة. صارت عيناها تحدّقان دون أن يرف لهما جفن، ثم لاحظت أن رأس لسانها خارج من بين أسنانها وشفتيها. كانَ غريبًا ومتجمّدًا.

لقد رأيت العديد من الأجساد الميتة من قبل، لكن لم يسبق لي النظر إلى وجه أحد مات مخنوقًا. عرفت في تلك اللحظة تحديدًا أنها اختنقت. ولكن كيف؟ وقفت صارخًا بأعلى صوتي: «لقد خنقت هيلين»!

ادعى أنه كان يعاني من حالة اضطراب عقلي مزمن منذ سنين بسبب الاكتئاب. وبالتالي حُكم عليه بأنه غير مؤهل للامتثال أمام المحكمة، فقضى ثلاث سنوات تقريبًا في مستشفى الأمراض النفسية قبل أن يُطلَق سراحه ويعود إلى الاختلاط مع المجتمع عام 1982. عاش مترددًا على المستشفيات حتى مات بعد ثماني سنوات، عاثرًا خلالها على ما يكفي من الوقت والعقل لكتابة سيرته الذاتية بعنوان «المستقبل خالد».

بكلماته

مفاجأة!



كتب التوسير: «أعتقد أنني تعلمت معنى الحب أيضًا... إمعان العقل تجاه العلاقة مع الآخرين، واحترام رغباتهم، ومزاجهم، وعدم طلب أي شيء نهائيًا بل تعلم استقبال كل هدية وتقبلها متفاجئًا، والقدرة على منح الشخص الآخر ما لديك ومفاجأته بكل تواضع ودون ذرة إكراه»، ولا بدّ أن زوجته قد فُوجِئت عندما استيقظت بينما كان زوجها يخنقها حتى الموت.

القدّيس توما الأكويني

(1225 ـ 1274)



«يسود الحب حين تغيب المعرفة»

لم يكن توما الأكويني مجرد مراهق متمرد، إذ هرب من بيته في إيطاليا في السابعة عشرة كي ينخرط في مذهب ديني.

كانت عائلته تريده أن يكون راهبًا بنديكيًّا، لكنه أراد أن يعتنق نظام القديس دومينيك، المذهب المسيحي المنافس. وعندما كان في طريقه للانضمام إلى نظام القديس دومينيك في روما، قام اثنان من إخوته بخطفه وحبسه في زنزانة داخل مونت سان جيوفاني، القلعة الضخمة

المهيبة التي تشابه منزل والده. خلصت العائلة أنه لا سبيل لكسر معتقد توما إلا في حبسه في قلعة.

ورغم سجنه، رفض فكرة التخلي عن انضمامه إلى أتباع القديس دومينيك. وعندما يئس أهله من وضعه، استعانوا ببائعة هوى حتى تغويه، وصلوا لأجل أن يتخلى عن طموحه ما إن يرتكب الإثم مع تلك المرأة.

ما إن عرف الغرض من تلك المرأة ونيتها حتى أبعدها عنه في أوج الغضب، وسأل الرب متضرعًا أن يمده بالاحتمال ضد الإغواءات الجسدية المقبلة.

وفي تلك الليلة، استجاب الرب لدعوته على هيئة ملاكين.

بما أن الملكين لم يتمكنا من مساعدته على الهروب، قاما بما هو أفضل، وشدّا حبلًا أبيض حول خصره، وأنشدا: «توماس، نحيطك بطوق العفة المنيع». بات لدى الأكويني القدرة على تحمل سجنه بإيمان متجدد بفضل القوة التي زود بها الحبل السحري أعضاءه.

أخيرًا، وبعد مضي عامين على احتجازه، فرّ توما الأكويني هاربًا، وما نوى أهله لحاقه وإمساكه، فانضم إلى مذهب القديس دومينيك وصار قسًا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

واليوم، يعرف توما الأكويني على نطاق واسع بأنه أعظم عالم لاهوتي كاثوليكي. أما الحبل المربوط حول خصره فقد ارتداه حتى

المهات معتزًا بأنه لم يحاول النكث بعهد عفته أبدًا[3].

بكلماته

حول العلاقات الجنسية المحرمة



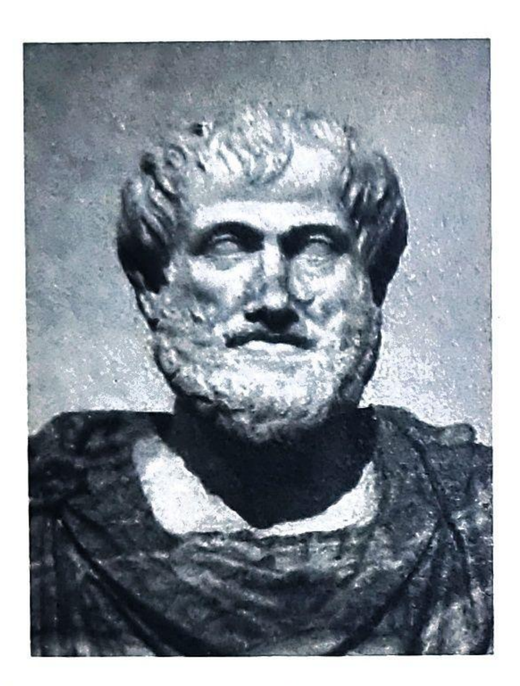
كان أكويناس يؤمن بأن بعض الخطايا تستوجب العقوبة على الصعيد الجسدي والروحي مثل الزنى. وقد كتب في كتابه (ملخص علم اللاهوت): «ليس الزنى مجرد خطيئة جسدية بسبب الشهوة، بل خطيئة ظلم روحية أيضًا، وتلك أخطر من السرقة»، ومن الواضح أنه لا يدري أن وصم الآثم مرتين بجرم واحد ممنوع حاليًا على الصعيد القانوني.

---

(3) . يشبه ذلك، بشكل مثير للشبهة، الطريقة التي يستخدمها المزارعون لإخصاء الخراف: إذ توضع رباطة مطاطية حول خصيتيْ الخروف لمنع تدفق الدم، ويسمح له بالركض حُرًا حتى تسقط بفعل نخر الخلايا.

أرسطو

(394 ـ 322 ق. م)



«آنَ للحب أن يكشف عن أبر قواه إلا بجعل الأحمق عاقلًا والعاقل أحمق».

كان لدى أرسطو الكثير من الأعداء والكارهين بسبب نظرياته الميسوجينية، إذ كان يعتقد بفساد النساء فطريًا، وذلك بناءً على ملاحظاته المغلوطة التي تدعي بأنهن ذوات دمٍ بارد، وأسنان أقل، ويعشن لوقت أقصر من الرجال[4] . فلسن – بالنسبة إليه - إلا مخلوقات متوحشة، لكن مروضة بقدر أكبر من الحيوانات.

تجاهل العديد من المؤرخين وجهات نظر أرسطو تجاه النساء، ففي

---

(4) . كان لدى اليونانيين عادة غريبة في ترك البنات غير المرغوبات في العراء ليمُتْن، ولعل هذا أثر على معدل أعمار المرأة لدى النساء في المجتمع اليوناني.

النهاية كان أحد مؤسسي الفلسفة الغربية بجانب أفلاطون وسقراط، وقد ألف أول مادة دراسية لعلم المنطق وارتقى خطوات في ما يتعلق بعلم الأحياء وقواعد السلوك والسياسة.

عندما كان أرسطو في السابعة والثلاثين، تزوج بيثياس ابنة الثمانية عشر عامًا، ابنة معلمه هيرميز بالتبني، وقد أشار أرسطو برومانتيكية إلى أنّ سنّهما قد كان مناسبًا جدًا للزواج. سجل المؤرخون أن زيجتهما كانت سعيدة جدًا، ولكن لو كان مسموحًا لزوجته بأن تسجل رأيها الخاص بالنسبة إلى علاقتهما، قد تظهر لنا صورة مختلفة جدًا عن هذا الزواج: هل كانت تستمتع بمعاملته لها وكأنها «حيوان مروَّض» وأن يدعوها «الوحش»؟ ماتت بيثياس وهي شابة، تاركة خلفها أرسطو ليقوم بتربية طفلتهما الوحيدة، التي سميت بيثياس أيضًا.

من ثم، تزوج أرسطو بامرأة أخرى ذات اسم مستهجن وهو هيربيليس. بقي القليل من تفاصيل علاقتهما، وعندما مات أرسطو، كان قد طلب بأن يتم دفنه بجوار زوجته الأولى. وقد استمر بمعاملة النساء على أنهنّ مخلوقات بلا عقل حتى مات، إذ جعل هيربيليس تحت تصرف منفذي وصيته بتعليمات صارمة تفيد بأن «لا تُمنح إلا من يستحق» إن شاءت الزواج.

بكلماته

عن الأفواه والرجال

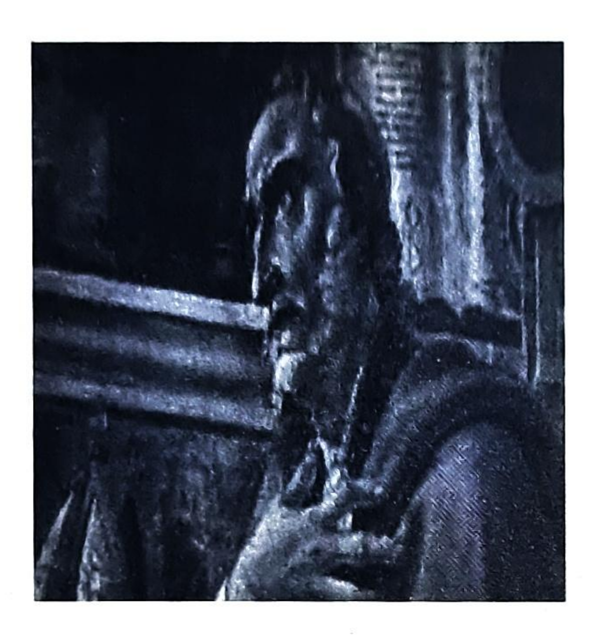
سخر النقاد من أرسطو لعقود طويلة بسبب إيمانه بأن للنساء أسنانا

أقل من الرجال، وقد كتب الفيلسوف برتراند راسل، «على الرغم من أنه تزوج مرتين، إلا أنه لم يخطر له أن يؤكد نظريته عن طريق فحص فمي زوجتيه».

هل كان مشغولًا بأمور أكثر أهمية من فحص فمي زوجتيه؟ وفقًا لديوجين المتشائم، «يمكن لأرسطو أن يمشي جيئة وذهابا [في طريق المشائين في الليسيوم] بينما يناقش الفلسفة مع طلابه حتى يحين وقت تنظيف أنفسهم بالزيت»، بينما كانت النساء حبيسات المنزل ومنفيات عن عامة الناس والحياة الاجتماعية، في حين كان الرجال أحرارًا.. يعلمون ويتعلمون وينظفون بعضهم بعضا.

أوغسطين

(430 ـ 354)



«أعطني العفة والقدرة على كبح الشهوة، لكن ليس الآن».

عندما ترك **أوغسطين** موطنه في شمال أفريقيا في عمر السادسة عشر ليدرس في قرطاج (مدينة قديمة تدعى الآن تونس)، كان سعيدًا وكأنه أوّل طالب اكتشف النبيذ والنساء والأغاني. كان يهمل واجباته الدراسية لصالح «شهوات شيطانية»، وكان أكثر ما وُثق عنه هو علاقة جنسية مع شابة صغيرة لا يعرف اسمها حتى اليوم. وقد كتب:

كان من اللطيف بالنسبة إلي أن أعشق وأصير معشوقًا، والألطف هو قدرتي على الاستمتاع بجسد حبيبتي؛ وهكذا عكرت صفو ربيع الصداقة بقذارة الرغبات الجسدية وحجبت بريقها بغمامة من ظلمات جحيم الشهوة.

ظلّ أوغسطين مع تلك المرأة المجهولة ثلاثة عشر عامًا، وأنجبا طفلًا سمَّياه أديوداتس، وقد ساند أوغسطين عائلته المؤقتة عن طريق تدريس البلاغة. كانوا يعيشون حياة هادئة وبسيطة، ولكن لوالدة أوغسطين خطط أخرى لحياة إبنها.

بلغ أوغسطين ثلاثين سنة، وقد أجبرته والدته على الزواج بـ«امرأة محترمة» (ليس مثلًا من النوع التي تنجب دون زواج موثق). أمّا المرأة التي عاش معها - حب حياته – فغادرت البلدة بطلب منه واحتفظ بحضانة ابنهما، إلا أن أوغسطين كان منهارًا، وكتب: (قلبي المعلق بها محطم ومجروح ينزف دمًا) .

كانت (المرأة المحترمة) التي اختارتها له والدته تبلغ عشر سنوات: أي أنها غير مؤهلة للزواج حتى بعد عامين. احتاج أوغسطين لإشباع رغباته الجنسية مع امرأة في الوقت الحالي، إلا أن حبيبته السابقة كانت على بُعد قارة، منفية إلى أفريقيا. ولم تكن له نية الانتقال: إلا أن الرجل الذي كان (قلبه محطما ومكسورا وينزف دمًا) قرر أن يستعين ببائعة هوى. ووفقًا لهُ، كانَ «مغرمًا بالوقوع في الحب».

لكن قبل أن يتزوج، وفي حين استمراره برؤية بائعة الهوى الجديدة، حظي أوغسطين بتدخل إلهي غيّر مسار حياته إلى الأبد.

في يوم مّا، حين كان برفقة أحد أصدقائه، نادى صوت غامض في رأسه بصوت عال: «يا أوغسطين!، يا أوغسطين! خذ الإنجيل واقرأه!». حدث أن كان الكتاب في متناول يده، فأخذه وكان أول مقطع قرأه هو من رسالة إلى أهل رومية 13: 13-14

لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ،

لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. بَلِ الْبَسُوا، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ.

بعد أن قرأ هذا المقطع، نذر أوغسطين حياته ليعيش حياة العزوبية، تاركًا كلًا من بائعة الهوى وخطيبته. حوّل ديانته إلى الكاثالوكية وأصبح راهبًا في هيبون (وهي مدينة جزائرية تدعى عنَّابة).

لقد واجه حياته الماضية بتأليف كتاب عن حياته وسماه «اعترافات». تعتبر ذكريات أوغسطين الصريحة عن حياته الجنسية قبل الزواج ثورية في ذلك الوقت، ولكن ما يجول في عقله كان أكثر مما قال، وقد كتب قائلًا: «لقد قصدت أن أُذكر نفسي بماضيَّ الطائش وشهواتي الجسدية، ليس لأني أُحبها، بل لأني أحبك يا إلهي».

ألّف أوغسطين أكثر من مائة كتاب، مشكلًا تطوّرًا في الفكر الغربي من خلال تفاسيره للكتاب المقدس عن الزواج والجنس.

بكلماته

لا أستطيع أن أعيش معهم، ولا أستطيع أن أعيش من دونهم.

على خلاف العديد من علماء الدين اللاهوتيين، كان أوغسطين يدور حول تجاربه الشخصية عندما كتب عن الجنس. على سبيل المثال وكما قال في كتاب مدينة الرب: «في بعض الأحيان، ودون إدراك، نجد أن الجسد يُثار برغبات مُلحة. وفي أوقات أخرى، يترك العشيق المرهق في وضع حرج، وفي حين أن الشهوة تخترق الخيال، نجدها جامدة في الحقيقة».

سيمون دي بوفوار

(1908 ـ 1986)



«الفن هو أن تصطادي زوجًا، والعمل هو أن تبقيه معك»

منذ أن كانت مراهقة، عُرفت الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار بأنها مختلفة عن النساء الأخريات، كما كتبت عن نفسها: «لا يمكنني التخلص من فكرة أنني وحيدة، في عالم بعيد، ووجودي في هذا العالم ماهو إلا فرجة».

عندما انتقلت إلى المرحلة الثانوية لدراسة الفلسفة بدت غرابتها تتضح بشكل أكبر: فقد كانت بوفوار تدخن وتشرب مثل رجل. لفتت انتباه أحد زملائها في الدراسة، الذي كان يدعى رينيه ماهو، وكتبت عنه في مذكراتها إن ذلك الوسيم الذكي كان «أعظم سعادة لها». كان يلقبها

«le castor»، أي «القندسة» بالفرنسية، وكان مناسبًا لها من جميع الجهات على كونه متزوجًا.

في غضون ذلك الوقت، كانت تجتاز اختبار التدريس مع صديق ماهو الذي يدعى **جان بول سارتر**. كان سارتر قبيح الشكل ولكنه متحدث جذاب مقارنةً بالوسيم ماهو. استمرت بوفوار وسارتر في التحدث نهارًا وليلًا لأسابيع. نجحت أخيرًا بالمرتبة الثانية في الإختبار، وسارتر بالمرتبة الأولى (رغم أنها كانت المحاولة الثانية له بعد أن رسب في السنة الماضية). كلما زاد الوقت الذي تقضيه بوفوار مع سارتر كلما قل تفكيرها بماهو، حتى حدثت المفاجأة بأنها وجدت نفسها غارقة في حب الرجل ذي الشكل المضحك. كانت هذه البداية للعلاقة غير التقليدية التي استمرت واحدا وخمسين عامًا ـ والتي هيمنت على حياة بوفوار وهددت أعمالها بالحجب.

على الرغم من أنهما كانا يتحدثان غالبًا كزوج وزوجة برسائلهما، إلا أن بوفوار وسارتر لم يتزوجا مطلقًا، فقد كان الزواج كلمة قذرة بالنسبة إلى فكر سارتر الحر. في البداية كانت بوفوار معارضة، فطالما تخيلت نفسها زوجة وأمًا. لكن بدلاً عن هذا، قدم سارتر تسوية مفتوحة أن تصبح علاقتهما هي «الأساسية» وكل ما عداها ثانويًا. عاشت بوفوار وسارتر معًا بشكل متقطع وحظيا بوقت وفير لتجربة المهارات الجنسية والعقلية.

عام 1950، كتبت بوفوار الكتاب الذي يعتبر الأكثر تأثيرًا وجدلًا **«الجنس الآخر»**. كانت بوفوار موهوبة أيضًا بكونها روائية وكاتبة مذكرات، وقد وضعت لنفسها مكانة رفيعة كفيلسوفة مستقلة عن

سارتر. وبسبب إلحاحه، اعترف كلٌّ منهما بخياناته الجنسية. وقد تم نشر مجموعتين من رسائلهما بعد وفاتهما التي بينت خيانتهما الجنسية: فقد روت بوفوار علاقتها الجنسية المثلية بالتفصيل لسارتر، وكتب لها بالمقابل عن كيفية فضّه عذرية العديد من الفتيات في أثناء المعاينة السريرية. ومن حين إلى آخر، كانا يلاحقان النساء أنفسهنّ وكثيرًا ما كان هذا مزعجًا، إذ كانا يتبادلان الملاحظات حول المرأة التي يعاكسانها.

لكن لم تكن العلاقة المثيرة لبوفوار مع سارتر، بل مع الكاتب الأمريكي نيلسون الغرين. التقيا للمرة الأولى في فبراير عام 1947 حين كان سارتر في زيارة إلى شيكاغو. أعطاها الغرين خاتمًا وطلب منها أن تنتقل للعيش معه في أمريكا، قائلًا لها، «أنا مستعد للزواج بك هذه اللحظة».

على الرغم من أن بوفوار كانت غارقة في حب الغرين، إلا أنها مازالت حينها تحت سيطرة سارتر. وقد كتبت رسالة إلى الغرين من فرنسا، «لا يمكنني أن أحبك وأرغب فيك وأشتاق إليك كما أفعل الآن. [لكن] لعشرين سنة تقريبًا، قام (سارتر) بفعل كل شيء من أجلي: فقد ساعدني على العيش واكتشاف ذاتي، وقد ضحّى بالكثير من أجلي... لا يمكنني أن أهجره أو أن أسخر حياتي لشخص آخر».

قبل الغرين توضيح بوفوار على مضض واستمر برؤيتها كلما تسنت لهما الفرصة للقاء، غير مدرك بأنها لا تزال تضاجع مع سارتر (من ضمن البقية). استشاط الغرين غضبًا عندما قرأ في مذكرات بوفوار «قوة الظروف» حيثُ وصفت علاقتها مع الغرين بأنّها «علاقة جنسية

عابرة». وقد كتب نقدًا لاذعًا عن كتابها في هاربر. وقد قال يومًا ما: «[القوادون] أصدق من الفلاسفة» ليقتل بهذا التعليق ما تبقى من علاقتهما الميتة، إلا أن بوفوار استمرت بارتداء الخاتم الذي أعطاها اياه الغرين حتى وفاتها.

في ذلك الوقت، تبنى سارتر عشيقته الجزائرية التي تدعى «أرليت إلكيم»إبنة له في عام 1965. لم يكن له ولا لبوفوار أي أطفال، وقد كان التبني ضرورة قانونية ليحافظ على إرثه الأدبي. كانت إلكيم الوريثة الشرعية لممتلكات سارتر بعد وفاته عام 1980. وحتى لا يتفوق عليها، تبنت بوفوار واحدة من عشيقاتها التي كانت تدعى «سيلفي لوبون» على أنها إبنة لها بعد وفاة سارتر. وقد أصبحت لي بون هي الوريثة لممتلكات بوفوار.

رغم غرابة علاقاتهما الغرامية، إلا أن بوفوار وسارتر قد ارتبطا مع بعضهما بعضا إلى الأبد ودفنا معًا في قبر مشترك في باريس. وقد كتب سارتر في إحدى المرات إلى بوفوار: «هنالك شيء واحد لم يتغير ولا يمكن أن يتغير: وهو أنه مهما حصل ومهما حدث، سأظلّ معك إلى الأبد». وقد قالت بوفوار له: «لقد جعلت هذه الرّفقة التي ربطت مصيرنا معا، حياتنا سخرية لا بديل عنها».

بكلماتها

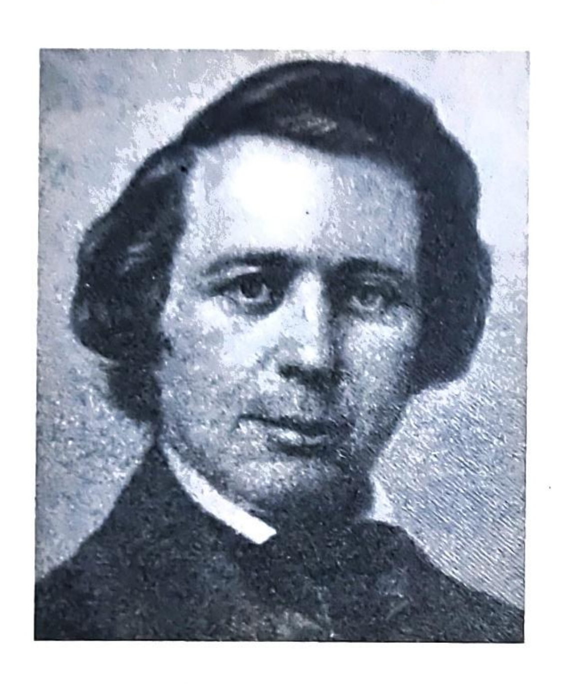
مستقلان ولكن متساويان



«هنالك دائمًا اختلافات بين الذكر والأنثى: لعلاقتها الجنسية وعالمها الجنسي شكل مميز في حدّ ذاته وبالتالي لا يمكنها الفشل في خلق شهوتها وشعورها ذي الطابع الخاص. وهذا يعني أن علاقتها بجسدها، بشريكها الذكر، بطفلها، لا يمكن أن يشبه علاقة الرجل مع جسده، مع الأنثى ومع الطفل».

هنري وورد بيتشر

(1813 ـ 1887)



«الزواج مقبرة الحب»

كان هينري وارد بيتشر الوزير الأكثر شهرة في أمريكا إبان محاكمته بتهمة الزنى، وقد كانت خطاباته الصادقة بمثابة بديل لاستعارة مزيج النار والكبريت من مجازات العهد القديم. تصّورت فلسفة «**إنجيل الحب**» التي قدّمها بيتشر أن حب المسيح غير مشروط.. كان الآلاف من الناس يتوافدون لسماعه يتحدث في كنيسة بليموث كل يوم أحد بوصفها نظرية متطورة في أمريكا القرن التاسع عشر.

بينما كانت زوجته يونيس تلد وتربي أطفالها العشرة، كان بيتشر مشغولًا أيضًا بمصارعة الشائعات غير المؤكدة التي تتهمهُ بالتحرّش طوال حياته المهنية، كما كان في التواصل مع الشاعرة إدنا دين بروكتور

وجارته كلو بيتش، ويقال إن الأخيرة قد أنجبت طفلاً غير شرعي من صلبه. لكن القضية التي ستثبت سقوطه ستكون مع أحد رعايا أبرشيته، إليزابيث تيلتون.

كانت إليزابيث زوجة صديق بيتشر المخلص تيودور تيلتون، ويُزعم أن علاقتهما الحميمة قد بدأت في أكتوبر 1868 عندما «استسلمت» السيدة تيلتون لرغبات بيتشر بعد مقاومة أخلاقية طويلة. أقنعها بيتشر أن حبهما كان «نقيًا» وأنّها «ما زالت عفيفة ونقيّة» في عين الرّب. وبالطّبع كان هذا هراءً خالصًا، إذ لم ينص الكتاب المقدس الذي يقرؤه بيتشر كل يوم أحد على «نقاء الحب» عندما يتعلق الأمر بتهمة الزنا. لم يكن في صفّها أحد، ولهذا اعترفت السيدة تيلتون بخطاياها لزوجها عام 1870. رغم أن ثيودور قد غفر لبيتشر، إلا أنه لم يكن قادرًا على الحفاظ على سرية الخيانة.

إن وضعنا الأزواج جانبًا، فسنجدُ أنّ خيبة الأمل جرّاء هذه الخيانة لم تشمل الجميع. فمناصرة حقوق المرأة فيكتوريا وودهول التي كانت قائدة حراك الحب الحر[5]، وتدعو «العشاق الأحرار» إلى تحرير النساء من «الاستعباد الجنسي» في الزواج الخالي من الحب، وقد كنّ في موقع تهجّم شديد من قبل قادة المتدينين في ذلك الوقت. وصل الخبر إلى أُذن وودهول، فقد كانت علاقة بيتشر العابرة تبدو مريبة كما هي حملات

(5) . ادعى أحد كتاب ذلك الزمان، واسمه جون ب. إليس، أن حركة "الحب الحر" كانت "قلقة إزاء الاستفادة من مبادئهم الخسيسة"، ومن تلك "المبادئ الخسيسة": سهولة تحديد النسل، وتعقيدات أقل بشأن الطلاق، وقوانين تجاه الأزواج الذين يعنفون نساءهم. وحسب إليس، فإن تلك التغييرات "ستقود إلى دمار مؤسسة الزواج،..... تدمير الديانة المسيحية،.... تفتح عقدًا من الانحلال."

الحب الحر التي يدعون إليها. في الواقع، كانت وودهول قد سمعت من مصدر موثوق أن بيتشر قد قال مرةً لأحدهم على انفراد بأن «الزواج مقبرة الحب». كانت هذه الخيانة الغرامية هي بالضبط ما يحتاجه مندو الحب الحر ليأخذوا الأفضلية الأخلاقية لحقوق النساء. نشرت وودهول قصة بيتشر في الصحيفة عام 1872، آملة أن يتم فضح الوزير وجعله يبدو كالمنافق.

تراجعت السيدة تيلتون من جانبها عن القصة، قائلة بأنها لم تضاجع مع الوزير. (انفصلت عن زوجها، ولكن ليس في وقت الخيانة، وكانت مُصرة على هذا). أُعفي بيتشر من منصبه كخطيب في كنيسة بلايموث: كما مُنعت السيدة تيلتون من الكنيسة أيضًا.

تراجع السيد تيلتون عن مسامحة بيتشر، وقاضاه في المحكمة المدنية لتورطه بـ«محادثة جنائية» مع زوجته (كان الزنى يعتبر جريمة في القرن الثامن عشر في أمريكا). استمرت المحاكمة لستة أشهر وعامة الناس مندهشون، حتى أنهم قالوا بأنها أكبر فضيحة حدثت في القرن الثامن عشر. رفض بيتشر أن يضع يده على الإنجيل أو يحلف تحت القسم قبل أن تقع الشهادة. أقنعت شهادته المتذبذبة والمتناقضة - وثلاثة من إثني عشر محلف - بأنه مذنب. لم تتخل يونيس بيتشر عن زوجها أبدًا، حتى بعدما اعترفت السيدة تيلتون أمام عامة الناس بأنها في الواقع ضاجعت مع بيتشر.

أصبح الوزير المحبوس مكروها من قبل عامة الناس، بسبب فضيحته الكبيرة، وقد مات على إثر سكتة دماغية في الثامن من شهر مارس 1887. وبغض النظر عن جميع التحذيرات، إلا أن منظمة

الزواج والدين المسيحي قد أنقذا كلًا من حراك الحب الحر وألاعيب الحب المتحرر لهنري وارد بيتشر .

بكلماته

لقد فعل بيتشر عملًا قبيحًا.. قبيحًا للغاية



كتب بيتشر: «أنا واقع في الحب، فنضارة الشباب وسحرهم قد استوليا على انتباه الرجال، وقيل عن الحب الأول بأنه الأجمل، ولكنه الأفقر. لا يعرف المرء كيف يحب حتى يشعر برتابة الحياة. فحب الشباب يكون كالنيران المتقدة، جميل جدًا، وغالبًا ما يكون ساخنا وشرسا، ولكنه يبقى بكونه مجرد ضوء وشرارة. أما حب الأكبر سنًا وأصحاب القلوب المنضبطة فهو كالجمر، يحرق بعمق، وجامح». تمامًا كما كان انضباط قلبه الزاني مثيرا للريبة، ولكن بالتأكيد تبين لنا بأنه «جامح».

جون كالفن

(1509 ـ 1564)



«حجاب الزواج المقدس. عليه أن يهب الزّوج والزوجة اللذة لبعضهما بعضا»

ربّما لا يوجد عالم دين شكّل النظرة الغربية للحب والزواج والعائلة كما فعل **جون كالفن**. فقد ساعد القس الفرنسي المؤثر على قيادة المجتمع للخروج من العصور المظلمة عن طريق إعادة تحديد مهام كلّ من الأزواج والزوجات، كما استحدث قوانين جديدة للطلاق تسمح للرجال والنساء على حدٍّ سواء بالمقاضاة بشأن الحضانة والنفقة.

كان كالفن يبلغ ثلاثين سنة عندما بدأ يفكر في الزواج بشكل جدي. ومع أنه لا يزال في ذلك الوقت في مرحلة مبكرة من عمله الكهنوتي، إلا

أنه كان يرى النساء على أنهن أكثر بقليل من كونهن مجرد ربات بيوت ممجدات. إذ كتب: «لم يسبق لي أن تزوجت، ولا أعلم إن كنت سأتزوج في المستقبل. فإن تزوجت، سيكون هذا لأحرر نفسي من مخاوفي السخيفة ومن أجل أن أنذر نفسي للرب». كان صديقه يشجعه ليجد زوجة، فوضع قوانينه الرئيسية لعلاقة مثل هذه وكتب:

لست أحد أولئك العشاق المجانين الذين يتقبّلون الرذائل، إن كان أحباؤهم جميلي الخلقة. والجمال الوحيد الذي يجذبني [في المرأة] هو كما يلي: أن تكون متواضعة، متفهمة، ليست متغطرسة، مقتصدة، صبورة. وإني على أمل في أن تكون مهتمة بصحتي.

في بداية عام 1540، قام أحد رعية كالفن بتقديمه إلى شابة ألمانية من عائلة عريقة، وقد كان كالفن يبحث عن ربة منزل لتكون زوجة له، يمكنه أن يتحدث معها، ويبدو أن التواصل سيكون مشكلة مع هذه الفتاة الألمانية. لم يرد أن يجرح مشاعرها، فوافق دون رغبة على هذا الزوج بشرط أن تتعلم الحديث بالفرنسية. خططت عائلتها لأجل أن يكون الزواج في ربيع تلك السنة. في الوقت نفسه، قام كالفن بإرسال رسالة إلى أخيه ليجد له شريكة تناسبه أكثر وبسرعة. (تكلّل بحث أخيه بفشل ذريع). ومن الواضح أن كالفن كان ذا ثقة قليلة بقدرة خطيبته على تعلم الفرنسية.. ولم تفعل، إذ حلّ تاريخ الزواج وانقضى دون رنين أجراس حفل الزفاف.

في نهاية تلك السنة، وجد كالفن احتمال زواج مقبول بقدر أكبر مع ايدليت دو بيور، أرملة من رعية كنسية. كانت هذه الجديدة ذات خبرة بإدارة أمور المنزل، ولديها طفلان من زواجها السابق - أي أنها تمثل عدّة بدء عائلة في عيني كالفن؛ والأهم أنها تتحدث لغته. وخلال ذلك

الوقت، بدأ كالفن إجراءات حفل الزفاف.

قضيا الأسابيع الأولى كزوجين وشريكين في السرير... لكن مريضين. كان كالفن يعتقد أن هذا إنذار من الرب كي لا يغرق في سعادة الحياة الزوجية (إلا أن الهواجس الأخلاقية عن الزواج لم تكن تخطر له). وبالرغم من مرضهما في بداية حياتهما الزوجية المنذر بالشؤم، إلا أن كالفن كان يفكر في أن يحظى بأطفال من صلبه مع بيور.

مع الأسف، لم ينج الطفل الوحيد منهما خلال مرحلة الطفولة. كان كالفن صبورًا في هذه المحنة، وقد كتب، «لقد رزقني الرب ابنًا واحدًا، ثم أخذه». كان زواجهما عاديًا بشكل عام، وبعد أن توفيت ايدليت عام 1549، لم يتزوج كالفن مرة أخرى في حياته.

بكلماته

لا عيب



على خلاف علماء الدين في العصور الوسطى، كانت نظرة كالفن تجاه الجنس إيجابية، فقد كان يؤمن بأن العزوبية أو عدم الزواج ليسا من خطط الرب للخلق: «وإنه ليغضب الرب أن نجاهد ضدّ فطرتنا التي خلقنا عليها، وأن نحتقر هباته وكأنها لا تنتمي إلينا على الإطلاق. فالاستمتاع بالجنس في حدود الزواج أمر طيب للغاية». وقد كتب أيضًا: «وإنما العار والإثم الموجود فيه، فإنه مغطى ومحجوب بالزواج المقدس الذي لا يجعل منه خطيئة في عيني الرب»، لأن «النكاح بين زوج وزوجته أمر نقي وخيّر ومقدس». ونِعْمَ ما قال.

ألبير كامو

(1913 ـ 1960)



«مباركة تلك القلوب اللينة، إذ لن تنكسر أبدًا»

تقترن فلسفة الفرنسي الجزائري ألبير كامو في الغالب بفلسفة العبث: إذ لا معنى للحياة بما أنه لا مناص من الممات. وإدراك كهذا الذي آمن به كامو يقود المرء إلى ارتكاب كل ما يمكن فعله هنا والآن وعيش الحياة إلى حدها الأقصى؛ وعلى البشرية أن تتوقف عن السعي إلى النظام والمعنى في كون بلا منطق. لكن هذا الموقف من الوجود لم يصمد في وجه الرومانسية، إذ لم يكن كامو محصّنًا، فقد كتب «الحب شبيه بمرض لا يرحم مثقفًا ولا أبله».

تزوج زوجته الأولى «سيمون هِي» عام 1934. كانا صغيرين، وسرعان ما بدأ كامو يدرك أن ارتباطهما غلطة، خصوصًا أنها كانت

مدمنة على [مهدئ] المورفين وكان كامو ضد استعمال الأدوية تحت أي ظرف كان. انتهى زواجهما عندما اكتشف أن زوجته كانت تمارس الجنس مع طبيب مقابل المورفين. كان طلاقهما العامل الذي عزز الرؤية السوداوية للحب الرومانسي من خلال روايته «الغريب».

بعد أن أنهى كامو إجراءات طلاقه بثلاثة أشهر، تزوج عالمة رياضيات تدعى فرانسين فيور. كانت أختها تعتقد أن أُذني كامو بارزتان كالقرد، إلا أن فيور كانت واقعة في غرامه، فردت على أختها: «القرد أقرب حيوان إلى الإنسان».

لكن فيور و«قردها» افترقا. إذ توضح رسائل غير منشورة في الكتب أنها كانت على علاقة سرية بالممثلة مايا كازاريس، بينما كان كامو يلاحق نساء بلا عدد دون علم زوجته. مما جعل المؤرخ أوليفر تود يكتب بشأن علاقات كامو خارج إطار الزواج: «لم أكتب كتابًا عن علاقات كامو الغرامية، فحتى كتابًا بحجم دليل الهاتف لن يكفيها»!

بكلماته

السبب أنت، ليس أنا



كان كامو يبقي عاشقاته على مسافة منه. وقد كتب في رسالة: «كنت طوال حياتي عندما يقترب إليّ أحدهم، أفعل كل ما في وسعي حتى أُبعده». وفي رسالة أخرى، كتب متذمرًا لأنه «ليس موهوبًا في ما يتعلق بالحب». وتعرب إحدى شخصيات روايته «**كاليغولا**» عن رأي يمكن نسبته إلى مؤلفها، إذ تقول «حب امرئ يعني المشيب معه، ولست قادرًا على حب كهذا».

نيكولاس شامفور

(1741 ـ 1794)



«إما أن تكسر الحياة القلب أو تقويه»

عندما اقترح عليه المسؤول في مدرسته الباريسية أن يصبح قسًا، أجاب **سيباستيان روش نيكولاس** «لن أُصبح قسًا أبدًا. فأنا مغرم بالنوم والفلسفة والنساء والنجاح والصيت».

في نهاية سن المراهقة وبداية العشرينات، ازدهرت كتابات نيكولاس المسرحية، وقد غير اسمه إلى «**نيكولاس شامفور**» ليطمس أصوله القروية وأنقص من عمره سنتين كي يؤدي دور الفتى الأعجوبة. عفر شامفور الفحل علمًا وجسدًا أغطية أسرّة العديد من الممثلات

الجميلات وبنات طبقة النبلاء، وقد أكسبته لياقته في غرفة النوم لقب **«هرقل»**(6)، وعاش لأمد من الزمن حلمه الجميل بالنوم والفلسفة والنساء والنجاح والصيت.

ثم فقد كل شيء في الخامسة والعشرين.

أُصيب شامفور بمرض غير معروف (يعتقد أنه الزهري) وجعله طريح الفراش بلا قدرة على القراءة أو الكتابة أو حتى المشي لعدة أشهر. أثر هذا المرض جسده كله ابتداءً من الجهاز العصبي حتى جهازه الهضمي. عندما تعافى من مرضه، كان الشاب اللعوب الواثق وحديث البلدة بأسرها قد اختفى إلى الأبد، وظهر من ذلك الرماد شابٌّ آخرُ متشائمٌ حادُّ الطباع.

كان السبب وراء تغيره واضحًا للعيان، فالمرض قد شوّه شكله الجميل؛ والأشنع أنَّه شوّه أعضاءهُ التَّناسليّة، مما يعتبر خسارة جسيمة لرجل أعلى من شأن العلاقات الجسدية. مما حدا به إلى تأمل حياته، ولم يعجبه ما خلص إليه، إذ كتب **«غالبًا ما تحزنك اللحظة التي تتحطم فيها أوهامك وشغفك، لكننا أحيانًا ننتهي إلى كره البريق الذي خدعنا»**.

وما كان الحب، في تلك المرحلة من حياته أكثر من **«تلامس جلدين»**. ولذا فقد جعل المرض قلبه في حالة منفى، ومرت خمس عشرة سنة حتى عاش أخيرًا أعماق الحب الحقيقي مع مارثا بوفون، الأرملة ذات الثلاثة والخمسين عامًا.

---

(6) . كانت أعظم غزواته مع السيدة غيمار، الراقصة ذات الخمسة والأربعين عامًا وذات "أجمل صدر في العالم" إن صدق تقرير الشرطة التي عاصرت حادثتهما.

كتب بعدها عن حياتهما الرومانسية: «هنالك ما هو أكثر وأفضل من الحب [القائم بيننا]، بما أنه كان هناك اتفاق تام في ما يخص الأفكار والمشاعر والسلوكيات». لكن عضوه المشوّه أفسد علاقتهما الجنسية للأسف. وفي عام 1782، انتقلا إلى الريف، حيث عثرا على السعادة الحقيقية معًا.

بعد ستة أشهر من عيشهما في الريف، مرضت بافون وماتت بين ذراعي عشيقها. وقد تحطمت سعادته مجددًا، ثم عاد شامفور إلى باريس.

قام شامفور بمحاولة عاطفية أخيرة مع جولي كاريو، الراقصة ذات الإثنتي والعشرين سنة. كتبت جولي: «لقد كان شامفور متوجّسًا من الحب الذي أشعلته في قلبه دون أن أنوي فعل هذا». إلا أن شامفور قد يئس من الحب ونذر نفسه للعمل خلال العشر سنوات الأخيرة من حياته.

في عام 1793، واجه عقوبة السجن بسبب التعليقات الساخرة التي كتبها عن مسؤولي الدولة، فقام شامفور بالانتحار،(7) وقد كتب عن ذلك: «إن الحياة مرض من آلام لا يسكتها إلا النوم كل ست عشرة ساعة: فالنوم مسكنٌ للألم، أما الموت فهو العلاج».

---

(7) . لم يكن انتحاره ناجحًا، إذ أطلق شامفور النار على الوجه، مقتلعًا أنفه وجزءًا من فكّه – كما طعن نفسه في العنق والصدر باستخدام قطاعة ورق. عثر عليه فاقدًا الوعي في بركة من الدماء، ومصابًا بـ 22 إصابة ذاتية. عاش خمسة أشهر أخرى في ألم ممضّ قبل أن يرتاح أخيرًا من جروحه.

بكلماته

بمئة وأربعين حرفا أو أقل



الشذرات عبارة عن حِكمٍ قصيرة ونكات ساخرة كُتبت إثر تجارب شخصية، وقد كان نيكولاس شامفور سيد هذا الفن الذي ذاع في القرن السابع عشر - والثامن عشر بلا منازع، وهنا بعض من أعظم ما كتب:

على المرء أن يختار بين أن يحب النساء أو أن يفهمهن؛ ولا توجد منطقة وسطى بينهما.

الحب يشبه الأمراض الوبائية: فكلما زاد خوف المرء منه، كلما كان أكثر عرضة للعدوى.

يتبع الزواج الحب، مثلما يتبع الدخان النار.

يمنح الحب سعادة أكبر من الزواج للسبب ذاته تسلي [الروايات] الرومانسية أكثر من [كتب] التاريخ.

أوغست كونت

(1798 ـ 1857).



«الكآبة والألم للعازب أهون من الزواج الفاشل».

عندما خرج أوغست كونت من منزله لنزهة مسائية في الثالث من شهر مايو 1821، لم يخطر بباله أنه سيلتقي بزوجته المستقبلية. لقد كان الفيلسوف الفرنسي، «عديم الجاذبية والوسامة» كما وصف نفسه، بلا حظ مع الجنس الآخر، إلا أنه أمل في أن يلتقي الليلة بفتاة، ليعقدا «علاقة عملية» عابرة، ثم يعود إلى منزله لينهي بعض الكتابات، فالتقى بـ«كارولين ماسين»، بائعة الهوى ذات السحر الفريد. وخلال الستة أشهر التالية، وحَسْب كاتبة السير الذاتية ماري بيكرينغ، «كانا يلتقيان كلما سنحت لهما الفرصة». توقف كونت عن زيارة ماريا بعد أن عادت

حبيبته القديمة إلى حياته في خريف عام 1821.

و بعد سنة، عاد مجددًا إلى ماسين. كانت قد تقاعدت من عملها المريح وأصبحت تدير غرفة للقراءة في أحد النوادي. أصبحت علاقتهما هذه المرة أقرب ما تكون إلى الصداقة. عرض عليها كونت أن يعلمها بعض دروس الرياضيات حتى تساعدها في إدارة حسابات عملها الجديد، إلا أنه لم تكن لديها رغبة في الأعمال القانونية وقد تخلت عن مشروعها بعد فترة زمنية قصيرة، وخططت للانتقال إلى منزل رجل أعمال ثري كان قد وعدها بأن يساندها. لكن حين غير رجل الأعمال رأيه، لم يكن أمامها سوى الرجوع إلى حياتها السابقة والعيش في الشوارع... إلا لو.. أحب كونت أن يستقبلها. فوافق، ولكنّه أقرّ بأنه «تعذب قليلًا» جراء هذا القرار: فرغم أنه كان أعزب، إلا أنه لم يكن يرى نفسه في علاقة طبيعية معها، لذا فقد أصر على أن يبعد نفسه عن شريكته الجديدة في السكن.

وباعتبارها بائعة هوى سابقة، كان على ماسين أن تخضع لفحوصات طبية مرتين شهريًا. وقد كان هنالك حل واحد لتنتهي من هذه الفحوصات ويُمسح اسمها من سجل الفتيات العاملات: وهو الزواج. كان كونت غاضبًا من السلطات، وفي الوقت نفسه متأثرًا بثقتها به، فوافق على الزواج بها وتزوجا في التاسع عشر من فبراير عام 1825 في قاعة البلدة.

بعد أقل من عامين محتدمين من زواجهما، أُصيب كونت بانهيار عصبي جعله غير قادر على الكتابة أو التدريس. فقضى وقته ممددًا على السرير ورابضًا خلف الأبواب كالحيوان. وعندما حاولت زوجته

مساعدته، رمى عليها السكاكين. كان وعيه يغيب عنه ويعود خلال السنة التالية، ولم يتمكن من استجماع قواه؛ فرمى بنفسه من أعلى الجسر: وأخرجه أحد العساكر الملكيين من الماء. تعافى كونت بما يشبه المعجزة، والفضل يعود إلى عناية زوجته التي لم تهرب – لحسن الحظ – بسبب السكاكين المرمية.

بعد مضي ثلاثين عاما، كان زواجهما لا يزال على أرض متأرجحة. إذ كانا ينامان في غرفتين منفصلتين. وقد كتبت ماسين رسالة إلى زوجها تلمح له بأن يلم شملهما، ومنها «طالما فكرت بأن كل ماهو مفقود بيننا يجب أن يجعل كل ما هو باقٍ بيننا ثمين». لقد أرادت أن تسترجع «صداقتهما العميقة جدًا»، لأنه لا يزال مستوليًا في قلبها على «مكانة... لا يمكن أن يأخذها أحد».

إلا أن كونت «كان يحلم فقط بأن يكون وحيدًا وهادئًا». فقد كان يعتقد أنه كان بإمكانه أن ينهي تحفته «المنهج» في ثماني سنوات - بدلًا من إثنتي عشرة سنة - لولا وجود زوجته. يبدو أنها كانت توافقه الرأي، وقد كتبت، «لا يوجد الرجل في هذا العالم حتى يكتب المجلدات لأجل الأجيال القادمة فحسب، وكلما قل العلم بالمنزل كلما زادت السعادة بشكل أكبر».

لكن على العموم، يبدو أن هنالك الكثير من العلم والقليل جدًا من السعادة إلى درجة أنهما قد افترقا أربع مرات: في 1826، 1833، 1838 وأيضًا 1842. وبعد أن وُبخت من قبل زوجها للمرة الرابعة بسبب أنها تعطل عمله، قامت بحزم أمتعتها لترحل إلى الأبد. كان الطلاق أمرًا غير قانوني في ذلك الوقت، ولكن كونت كان يدفع

لزوجته ثلاثة آلاف فرنك سنويًا ليتمكن من العيش بسلام. يبدو أن علاقتهما قد أخذت من الوقت أكثر مما يجب: فقد كانت متهورة وعنيدة وعاملة لمرتين ورفضت أن تخضع لزوجها. وقد كتبت لزوجها: «أكبر جريمة فعلتها بحق نفسي هي عندما رأيتك زوجا، لا سيدا. . . فعلًا، فأنا لا أعرف كيف أكون مطيعة، ولكن رغم هذا، أحببتك». بعد انفصالهما، أصبحت معلمة في حين أكمل زوجها دراساته دون انقطاع.

أصبح كونت رياديًا في دراسة علم الاجتماع الإنساني، وقد أتى إلى العالم بكلمة «علم الاجتماع» التي لم تكن موجودة سابقا، ليصف لنا العلم الذي يدرسه. ولكن على الرغم من كل الإنجازات التي قام بها كونت في عمله، إلا أنه لم ينجح أبدًا في علاقاته الحياتية. وتتلخص النهاية المريرة في كونه أبقى على كارولين بوصفها «الغلطة التي لا يمكن إصلاحها» في حياته. وقد كتبت بيكرينج عن مصير كونت المثير للسخرية كمثال عن العلاقات الاجتماعية، «لم يكن قادرًا على إنشاء علاقات حب حقيقية مع عائلته ولا زوجته، فاختار كونت أخيرًا أن يجد شعور الاكتفاء في حب الإنسانية».

بكلماته

إنجيل كونت الغريب



بالنسبة إلى الكثير من المفكرين، فإن ابتكار قسم علمي جديد يعتبر إرثًا كافيًا. ولكن ليس لكونت، الذي كتب ديانته الخاصة. فبعد أن انفصل عن زوجته، أصبح مهووسًا بإمرأة أخرى تدعى كلوتيلد دي

فو. رغم أنهما لم يكونا عاشقين، إلا أن صداقتهما القوية أسفرت عن أساسيات دينه العلماني الجديد: «الإيجابية»، وهو حراك علمي قائم على أسس دينية يهدف إلى تطوير الفكر في مجتمع ما بعد عصر التنوير. لقّب كونت صديقته الجديدة بـ«القديسة كلوتيلد» في مسودته بعد أن ماتت في عام 1846.

واصل الحراك الإيجابي مسيرته من دون قديسته. وبالنسبة إلى دينه الجديد، فإن كونت نسخ أغلب جوانب الدين الكاثوليكي المعروف. (لم يعبث المرء بشيء ناجح؟) وهكذا، رُدَّت تسمية الثالوث المقدس إلى «الثلاثية الإيجابية» للوجود الأعظم، الوسط الأعظم، والملموس الأعظم. كما أنه قد أنشأ تقويمًا خاصًا بدينه[8]. فكر كونت بكل شيء عدا مفتاح أساسي واحد، وهو الأتباع. رغم أن دينه قد فشل في أن يتبعه أكثر من مجموعة من المخلصين المتشددين، إلا أنه قد أفسح المجال لانتشار المنظمات الإنسانية العلمانية في القرن التاسع عشر.

---

(8) . كانت الأشهر في ذلك التقويم مسمّاة تيمّنًا بمشاهير في التاريخ والأدب: موسى، هوميروس، أرسطو، أرخميدس، قيصر، سانت بول، شارلمان، دانتي، غوتنبرغ، شكسبير، ديكارت، فريدريك، بيكيت. وكان هنالك ثلاثة عشر شهرًا بدلا عن اثني عشر. ولو أن كونت أبقى على عدد الشهور اثني عشر (لعله يحذف بذلك بيكات المربع أو فريدريك)، لحصل تقويمه على فرصة للجدل.

رينيه ديكارت
(1596 ـ 1794)



«الكره سهل، والحب صعب».

الخامس عشر من أكتوبر، عام 1634. إنها الليلة المصيرية للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت - المعروف بكونه الأب لكل من الفلسفة الحديثة والهندسة التحليلية - التي فقد فيها عذريته مع الخادمة التي تدعى هيلين جين. وقد نتج عن ليلة الشهوة الوحيدة تلك طفل غير شرعي[9]. لم يتزوج ديكارت هيلين البتّة، ولكنه قد أخذ حضانة ابنتهما فرانسين، وأحبها كثيرا وكان متحمسًا لأجل تعليمها. ولكن للأسف، توفيت الفتاة بسبب الحمى القرمزية في الخامسة من عمرها.

---

(9) . كانت تلك المرة الوحيدة التي مارس فيها ديكارت الجنس على الإطلاق. وأبوّة طفل إثر الاتصال الجنسي الأول والوحيد تعني أحد احتمالين: إما أنه كان محظوظًا للغاية أو فحلًا يعتدّ به.

كان ديكارت، الكاثوليكي الرومي المخلص، نادمًا على فعله الزنى. وقد عاهد نفسه على أن يكون أعزب طوال حياته. كتب عنه المؤرخ أدرين بايلت، «لقد غفر له الرب [خطيئته] بسرعة».

خاض أكثر علاقة عاطفية في حياته بعد عدة سنوات مع الأميرة إليزابيث، إبنة فريدريك ملك بوهيميا، التي تبلغ خمسة وعشرين سنة. كان ديكارت يبلغ سبعة وأربعين عامًا عندما بدءًا الكتابة إلى بعضهما بعضا عام 1643. وبعد عام واحد من تبادلهما الرسائل، كتب ديكارت إهداء كتابه «مبادئ الفلسفة» إليها.

وعلى الرغم من كونهما التقيا مرات قليلة إلا أنهما ظلاّ مرتبطين كثيرا حتى وفاة ديكارت عام 1650. كانت إليزابيث أكثر شخص يراسله حتى نهاية حياته، وقد كتب المؤرخ ستيفن غوكروجر عن تحفة ديكارت الفنية «المشاعر» «حسب بعض الأقاويل، لاهتمامها الكبير بـ[بجهوده الفكرية] التي ظهرت بكثرة». إلا أن «موسوعة ستانفورد للفلسفة» تؤكد أن هذا الكتاب كان «نتيجة استكشافات الأميرة إليزابيث»، رغم أنه للأسف لم يكن بينهما أي استكشافات متبادلة[10].

بكلماته

عاطفة ديكارت

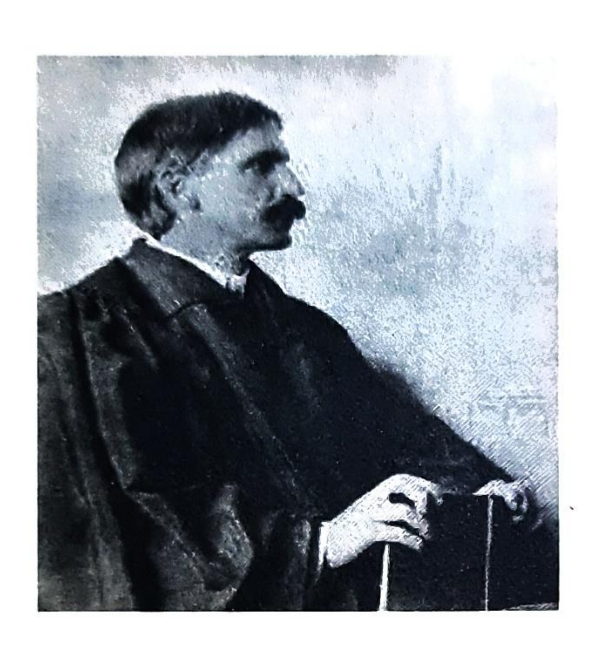


(10). كانت مشكلة الأميرة إليزابيث الحقيقية هي أنها مكتملة بقدر أكثر من اللازم، وكان لدى ديكارت شبق تجاه النساء المصابات بالحول. كتب عن ذلك "حين كنت طفلًا، أغرمت بفتاة في عمري نفسه وكانت حولاء قليلًا؛ وما إن أنظر إلى عينها غير المركزتين حتى يرتد تأثيرهما على عقلي مباشرة تجاه غريزة الحب، إلى درجة أنني – ولمدة طويلة – أميل إلى حب النساء المصابات بالحول ما إن أراهنّ مباشرة على عكس الأخريات."

يبدو من الواضح جدًا أن ديكارت كان مؤمنًا بأن الأميرة إليزابيث توأم روحه - وإن لم يكن جسديًا، فروحيًا على الأقل، فقد كتب ديكارت في واحد من الفصول العاطفية فعليًا في كتاب «عاطفة الروح»، «إن الحب شعور في الروح يوجد من تحرك المشاعر التي تجبر الروح على أن تلتئم بالإرادة للقيام بأمور تبدو مما يروق لها».

جون ديوي

(1859 ـ 1952)



«إن حديقة الحب أرض صخرية بأعشاب ضارة».

عندما كان المفكر التربوي **جون ديوي** طالبًا في جامعة جونز هوبكنز، كان خجولًا للغاية إلى درجة أن مدير الجامعة دانيال كويت جيلمان قد نصحه بأن لا يكون قارئًا نهمًا. قال جيلمان لديوي، «لا تعش حياة منعزلة، اخرج وقابل الناس».

ولقد تبين أن كل ما كان يحتاجه ديوي هو أن يجد الفتاة المناسبة. فبعد فترة قصيرة من لقائه مع **أليس تشيبمان** في قاعة دراسية، بدأ يتحدث في أمر الزواج. كتب تلميذ ديوي، «ماكس ايستمان»، «لقد كان بينهما الكثير من الإعجاب الفكري والأخلاقي ». وقد قال ديوي

لايستهان مرة، «لا يوجد اثنان غارقان في الحب أكثر منا». وفي شهر يوليو عام 1886، بعد أن تخرجت أليس من الجامعة ورُشح ديوي ليكون أستاذًا مساعدًا، تزوجا.

لم يكن «الإعجاب الفكري والأخلاقي» كافيين لإبقاء ديوي وفيًا بقدر تام خلال عقود زواجهما الأربعة. كانت أنزيا يزيريسكا، الكاتبة الأمريكية البولندية التي كانت تصغر ديوي بعشرين سنة، تتابع محاضراته في جامعة كولومبيا، فخاض الأستاذ الطيب علاقة عاطفية قصيرة المدى معها في عام 1918، وكتب المؤرخ روبيرت بي ويستبروك عن تلك العلاقة، «يظهر فعليًا أنها لم تستمر طويلًا».

توفيت أليس زوجة ديوي عام 1927. وبعد عقدين من الزمان تقريبًا، وعندما كان ديوي يبلغ سبعة وثمانين عامًا، تزوج روبيرتا غرانت، الأرملة البالغة من العمر إثنين وأربعين عامًا. لم يعلنا زواجهما لأن ديوي كان خائفًا من تعرضها لمضايقات وفقًا لفارق العمر بينهما، إلا أن زواج ديوي الثاني قد أحدث انشقاقات بينه وبين أطفاله. إذ قامت إيفيلين، إبنة ديوي من زواجه الأول، بإخبار أصدقاء والدها أن روبيرتا تدخل أوهامًا شريرة إلى رأس ديوي. ووفقًا للمؤرخة سيدني هوك، كانت روبيرتا امرأة كاذبة ومصابة بانفصام الشخصية. توفي ديوي بهدوء بعيدًا عن عائلته وأصدقائه في عمر يناهز الثانية والتسعين.

بكلماته

رسائل حب ليست بتلك العظمة من رجال عظماء

♥

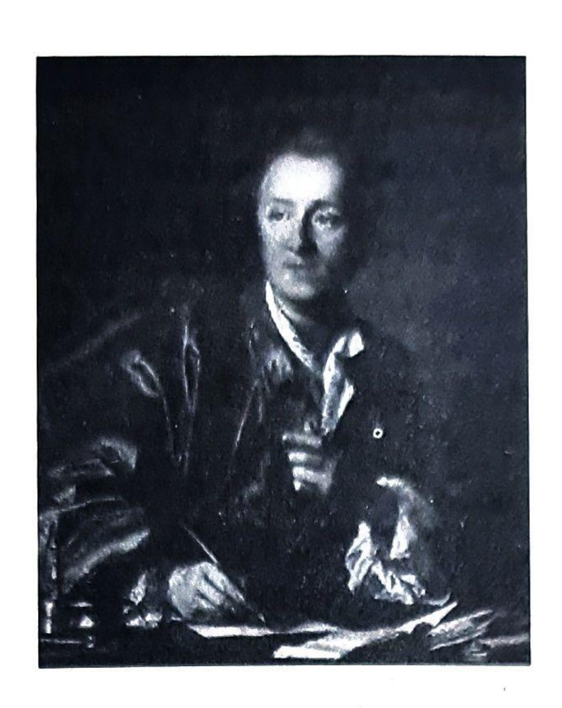
على الرغم من براعته اللفظية في مواطن أخرى، إلا أن رسائل ديوي إلى أليس كانت «بسيطة وغير محكمة إلى درجة أن القارئ يمكنه أن يستشف بأن كاتب هذه الرسائل... لا يمكنه أن يفتح قلبه لأي أحد»، كما كتب المؤرخ ألان رايان. هل كان المؤرخ قاسيًا بعض الشيء على الرجل؟ اقرأ المقتطفات التالية من رسائل ديوي بنفسك، والحكم لك:

حبيبتي، متى ستعودين لتسعديني بتلك البهجة المحببة التي تتلوها بهجة حُبك؟ النسانة الأحب إلى روحي، والتي هي نفسي وحقيقتي، الإنسانة التي أيقظت حياتي ورغباتي، التي ملأت الحياة في عيني وأرضت كل رغباتي، منبع كل ما أريد أن أكونه، ومصدر كل ما أنا عليه الآن - هل يجب أن أقول لك إني أحبك؟ آه يا حبيبتي العزيزة، إن فكرة أنه بإمكاني أن أمنحك الحب تشعل في قلبي الإثارة أكثر وأكثر مع متعة الحياة...

يا حُبّي، آن لحُبك أن يملأ كل شيء. يا عزيزتي، هذا أنا وكل ما حولي. يا حُبي الوحيد، أنا الرسالة وفحواها يا حبي الوحيد، وهي منّ العالم وسلواه. عزيزتي، كيف لي أن أستطيع إلا أن أُحبّك بحياتي وكياني وكل شيء فيّ ولم يعد لي بعد الآن. إنه لك يا حلوتي.

دنيس ديد رو

(1784- 1713)



«يقال إن الحب يسلب بديهة من يقعون فيه ويمنحها لمن ليس لهم بديهة».

حين قرر دنيس ديدرو أن يصبح كاتبًا في عمر الواحد والعشرين، كان قد جرب العديد من الأعمال الأخرى وفشل، كأن يصبح قسًا، وطبيبًا، ومحاميًا. وعلى الرغم من أن الأعمال الأخرى كانت تعطيه مالًا أكثر، إلا أن قلب ديدرو كان معلقًا بالحياة الأدبية. وخلال العشر سنوات التالية، عاش على حد الكفاف ما بين الترجمة وكتابة الخطب والتدريس الخصوصي[11]. وقد كتب ايفيلين باتريك هال عن العقبات التي واجهت ديدرو ليصبح كاتبًا حُرًّا في القرن الثامن عشر في فرنسا،

(11) . مضى ديدرو في التدريس لفترة قصيرة جدًا، وقد قال محبطًا لأب أحد الفتيان: "لعلي أصنع رجالًا من أطفالكم، لكنهم أسرع في تحويلي إلى طفل."

إن الوجود البوهيمي «يصاغ غالبًا على الورق كي يبدو رومانسيًا... إلا أنه تافه ورث على أرض الواقع».

عام 1743، كان ديدرو يقيم مع خياطة فقيرة ووالدتها. كانت الخياطة أنطوانيت شامبيون غير متعلمة، إلا أنها أوقعت قلب الفيلسوف في شراكها. وليبدأ بشرارة للعلاقة، طلب منها أن تخيط له بدلة رسمية، قائلًا بأنه سيدخل مدرسة يسوعية وإنه في حاجة ماسة للباس. (لم تكن له نية). ولحسن حظه، كانت مهارات ديدرو الفكاهية أكبر مما قد يتصوره البعض، وقد تزوجا بعد فترة قصيرة.

وسرعان ما أخذت غيرة ديدرو كل صفاته الحسنة منه. فقد طلب منها أن تتوقف عن الخياطة، خوفًا من أن يقودها عملها إلى التواصل مع أحد العزّاب الباحثين عن الحب. ومع مصادر الدخل المتفرقة لديدرو ومدخرات والدة انطوانيت، عاش الثلاثة في فقر مدقع. كتب هال: «لقد كان أصدقاء المشهور جدًا ديدرو يدعونه دومًا على العشاء، وكان دائمًا يلبي دعواتهم: في حين أن من في المنزل [زوجته وأم زوجته] كانت لهما وليمة الخبز الناشف».

وعلاوة على الشجارات اللا منتهية بشأن المال، والتي جعلت ديدرو يتأكد بأن حقيقة الحياة الزوجية تقيّد من معتقداته البوهيمية.، قرر أن الرغبات لا يمكن أن تستمر لأجل وجود «عقد لا معنى له»، أي الزواج. وقد كتب، «ما أنبل هدف المتدين الذي يعذب نفسه كالمجنون في سبيل أن يمحو رغباته وحُبه»، ومشاعر المحبين للمطاردة لا للكبت. بينما كانت أنطوانيت بعيدة في زيارة عائلية، بدأ ديدرو علاقة غرامية مع مادام دي بوسوكس.

كانت مادام تحب الملابس، وتستنزف دومًا كل ما بحوزته من نقود. ولكن لسخرية القدر، كانت ملهمته لعدد من أشهر أعماله التي قام بها: «مقالة في الاستحقاق والفضيلة» و«أفكار فلسفية». في يوم ما، ظهرت لزيارة ديدرو مرتدية ملابس باهظة الثمن لم يكن قد اشتراها لها، فلحق بها ديدرو وضبطها برفقة رجل آخر. ووفقًا لهال: فإن الفيلسوف الغيور «قد تركها بسهولة وبسرعة كما كانت بداية وقوعه في حبها».

كانت علاقته الغرامية التالية مع صوفيا فولاند. تبادلا الرسائل خلال ثمانية وعشرين عامًا، وقد أحرقت زوجة ديدرو العديد من رسائلهما. تكهن الباحثون بأن ديدرو وفولاند كانا على علاقة غرامية، ولكن أحرقت كل الإثباتات والبراهين على وجود ذلك.

أخيرًا، جعلت كتاباته منه مشهورًا، وأصبح ثريًا عندما باع مكتبته الشخصية لكاترين العظمى. أنجبت زوجته إبنة، ولكن زواجهما السيء لم يتحسن أبدًا. وزاد الاكتئاب الذي أُصيب به بعد وفاة صوفيا فولاند المفاجئ الأمر سوءًا عام 1784.

و بعد تسعة أشهر من وفاة فولاند، مات ديدرو بشكل مفاجئ بينما يأكل المشمش على طاولة الطعام مع عائلته. وقد كانت كلماته الأخيرة: «ما بإمكانه فعله ليؤذيني؟».

بكلماته

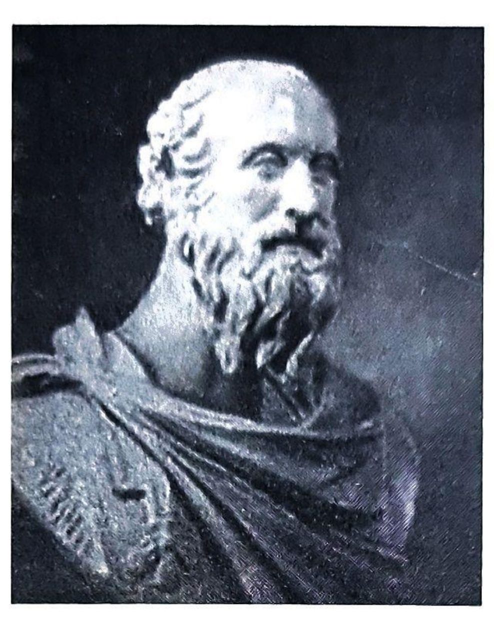
يُحرَق بعد القراءة....

أحرقت الكثير من رسائل ديدرو الغرامية إلى صوفي فولاند (بشكل غير مفاجئ) على يد زوجته، لكن بعضها نجا، ومنها في يوليو 1759: كلي ملكك - وأنت كل شيء بالنسبة إلي: سوف نساند بعضنا البعض في كل مشاكل الحياة التي ستجعل الحياة مبسوطة اليدين لأجلنا، إذ أنت من تشفين جراحي، وسأكون من يخفف عنك على الدوام. هل من المعقول، يا عزيزتي صوفيا، أنك لطيفة إلى هذا الحد؟ انظري إلى نفسك ـ وشاهدي قدر استحقاقك الحب، واعلمي أنني أحبك جدًا... إنني سعيد جدًا مثل رجل يعلم أن عاشقته أفضل النساء.

20أكتوبر،1759: أنت تحبينني، وستحبينني دومًا. وإني لأصدقك حين تقولين إني سعيد جدًا الآن، فأنا حي مجددًا. أستطيع الحديث والعمل واللعب والمشي - أي فعل كل ما يحلو لك... سأحبك أكثر مما أحبك الآن، لو عرفت كيف يمكنني.

المتشائم ديوجين

(تقريبًا 412 ـ 323 ق م)



«لا يجلب الزواج أية منفعة للرجل، ويجب أن نكون راضين تمامًا إن لم يجلب لنا الأذى»

خاض ديوجين المتشائم حربًا طوال حياته ضد العادات والتقاليد في المجتمع الإغريقي، وقد كانت فلسفته تتحدث عن أن كل طبيعي لا يمكن أن يكون خطأ. وقد اتخذ ذلك عذرًا كي يطلق الريح ويتغوط ويستمني في الأماكن العامة[12].

إلا أن ديوجين كان صاحب شخصية مسلية ومحبوب من قبل

---

(12) . حين سُئل عن استمنائه في العلن، قال ديوجين: «أتمنى فقط لو أتخلص من الجوع عن طريق فرك المعدة».

زملائه الأثينيين. وقد قيل بأن الإسكندر العظيم كان من المعجبين بهذا الفيلسوف غريب الأطوار؛ إذ قال ذات يوم، «لو أنني لم أكن الإسكندر، لتمنيت أن أكون ديوجين».

لا توضح صحف التاريخ إن كان ديوجين قد وقع في الحب، والغالب أنه لم يقع في الحب أبدًا، خاصة مع تصرفاته الفاضحة؛ فلم يكن أصلًا يؤمن بأن الحب ينصاع لرجل حكيم عاقل، وقد قال إن الحب هو عمل من لا عمل له. ويا له من تصريح قوي آتٍ من رجل ينام مساءً في الشارع داخل برميل ويتسول الفاكهة خلال النهار.

بكلماته

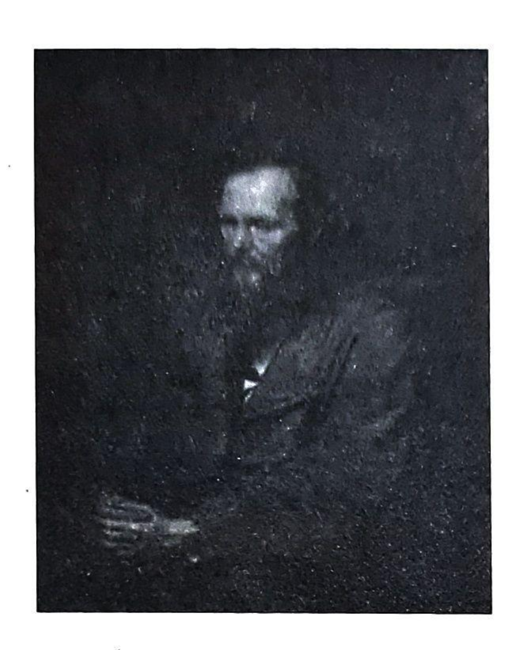
الهبة المثالية



كان ديوجين يمقت العلاقات الاجتماعية مثل الزواج. ومما قاله، «إن الإنسانية قد عقدت كل الهِبات البسيطة من الرب»، مستنتجًا أن الزواج هبة إلهية طبيعية لممارسة الجنس. وقد قدم بديلًا للمجتمع في كيفية أن النساء يمكن أن يصبحوا «ملكية مشتركة» للرجال؛ فبدلًا من أن يكون الزوجان منذورين لبعضهما حصرًا، يمكن للرجال والنساء أن يغيرا شركاءهما بقدر ما يريدون في عالم ديوجين المثالي.

فيودور دوستويفسكي

(1713 ـ 1881)



«إن الحب واقعيًا شيء قاس ومخيف مقارنةً في الحب في الأحلام»

التقى الكاتب الروسي فيودور دوستويفسكي، الذي أثرت كتاباته على وجوديي القرن العشرين مثل ألبير كامو وجان بول سارتر، بماريا ديميتريفينا إيسايفا التي كانت تعمل سرًا في الكتيبة العسكرية السيبيرية عام 1856. كانت فرصة مواعدتهما غير محتملة على الإطلاق: إذ كانت متزوجة. وعلى خلاف الكئيب دوستويفسكي فقد كانت جذابة ومفعمة بالحياة. وقد كتب صديقهما المشترك بارون اليكساندر فرانجل، «لا أعتقد بأنها تحترمه كثيرًا. يبدو غالبًا بأنها تشفق عليه.... أما مسألة أنها تحبه فهذا لم يحدث على الإطلاق ». لقد كانت ماريا ترى دوستويفسكي رجلا فقيرا «دون مستقبل». ولكن يبدو أنها كانت

تشفق عليه بشكل كافٍ حتى أنها تزوجته عام 1857 بعد أن توفي زوجها.

كانت علاقتهما صعبة، وكتب دوستويفسكي رسالة إلى فرانجل، «لم يكن أيّ منا سعيدًا، ولكن لم نستطع أن نتوقف عن حب بعضنا بعضا. في الواقع، كلما أصبحنا أكثر تعاسة كلما ازدادت روابطنا. ولا تهم غرابة ذلك بقدر ما كان ما يجري واقعًا».

عندما أُصيب دوستويفسكي بالصرع، سُرح من الجيش بسبب وضعه الصحي وعاد مع عروسته إلى بلدته بيترسبيرغ. كان انتقالهما كارثيا بالنسبة إلى ماريا. فقد كانت مصابة بالدرن الرئوي، وكان الجو رطبًا في المدينة الجديدة مما جعل حالتها الصحية تتدهور.

عام 1862، وفي حين تدهورت حالتها الصحية، بدأ دوستويفسكي الذي يبلغ من العمر أربعين سنة علاقة حب مع الكاتبة سوسلوفيا التي تبلغ من العمر إثنين وعشرين عامًا. بقيت خليلته عامين من الزمان، ولكن الوضع لم يكن مرضي لكلا الطرفين. فانفصلا عام 1864. وقد وجد في سيرة دوستويفسكي الذاتية في رواية «المقامر»، أنه قد كتب نهايات علاقته الغرامية مع سوسلوفيا، وهذا ما قاله:

كانت هنالك لحظات (في الواقع إثر كل مرة ننتهي من حديثنا) أتمنى أن أضحي بنصف عمري في سبيل أن أخنقها. أقسم أنه لو كان لدي فرصة بأن أغرس سكينًا حادة ببطء في صدرها، لكنت فعلتها بكل سرور.

بعد انفصاله عن سوسلوفيا، أصبح دوستويفسكي يقضي المزيد من

الوقت برفقة زوجته المريضة. في حين أنه كان يكتب «**ملاحظات من تحت الأرض**»، كان يسمع صوت كحة زوجته من الغرفة الأخرى. وقد كتب، «كانت هنالك لحظات تمر كل يوم نتوقع فيها أنها ستموت». وقد ماتت بالفعل في الخامس عشر من شهر أبريل 1864، وقد صدحت مقدمة جريدته لليوم التالي بالخبر الذي يكسر القلب: 16 أبريل. ماشا [ماريا] ممدة على الطاولة. هل يمكن أن أرى ماشا مرة أخرى؟

كانت وفاة زوجته بداية مرحلة مظلمة من حياة دوستويفسكي. وقد توفي أخوه بعد فترة قصيرة. كما أن إدمان دوستويفسكي على القمار أصبح أسوأ، وتراكمت عليه الديون بشكل متسارع. وتقدمه البارد لعشيقته السابقة سوسلوفيا قد أُجيب بالرفض. إلا أن خلاصه قد أتى على يد كاتبة الاختزال ذات العشرين سنة التي تدعى آنا غرورفينا سنيكنا.

في أكتوبر عام 1866، وظف دوستويفسكي سنيكنا لنسخ أعماله. لم يكن حبًا من النظرة الأولى. وقد كتبت عن الكاتب الذي يبلغ من العمر ستا وأربعين سنة: «لا يمكن لشيء أن يصف البؤس الذي كان به فيدور. . . عندما قابلته للمرة الأولى. فقد بدا مشوّشا، متوتّرا، لا حيلة له، وحيدا، انفعالي وأكثر شيء كان مريضا».

وفي الوقت الذي كان يملي عليها عمله، كان الانجذاب في قلبيهما يزداد. وبعد العمل سويًا لأقل من شهر، استشارها عن فكرة رواية جديدة تتحدث عن فنان كبير في السن يقع في حب امرأة شابة... تدعى آنا. وسألها، هل من الممكن أن لعلاقة كهذه أن تسير على ما يرام؟

أجابت، نعم ممكن، لأن الحب الحقيقي لا يعتمد على المظهر. أصبح واثقًا من نفسه أكثر لأن مناورته قد نجحت، ثم غامر بشكل أكبر. وقال لها، «ضعي نفسك في مكانها. وتخيلي أن هذا الفنان هو أنا، وقد اعترف لك بأنه يحبك وطلبك للزواج. ماذا ستقولين؟»

لم تتردد عن الإجابة وقالت: «سأجيب بأني أحبك وسأظل أحبك طوال حياتي». وقد تزوجا بعد ثلاثة أشهر.

بداية سنوات زواجهما كانا يواجهان مشكلة إدمان دوستويفسكي على القمار. وقد كافأ زوجته على تسامحها ولطفها إزاء تصرفاته بأن رهن مجوهراتها وخاتم الزواج (وقد استعادت آنا الخاتم مؤخرًا). بعد ولادة أطفاله، قلت مقامرة دوستويفسكي. وعلى الرغم من أنهم قد استمرا بمعاناتهما من الضائقات المادية، إلا أن دوستويفسكي وآنا كانا يستمتعان بالتمام بأسرتهما حتى مات دوستويفسكي في عام 1881.

بكلماته

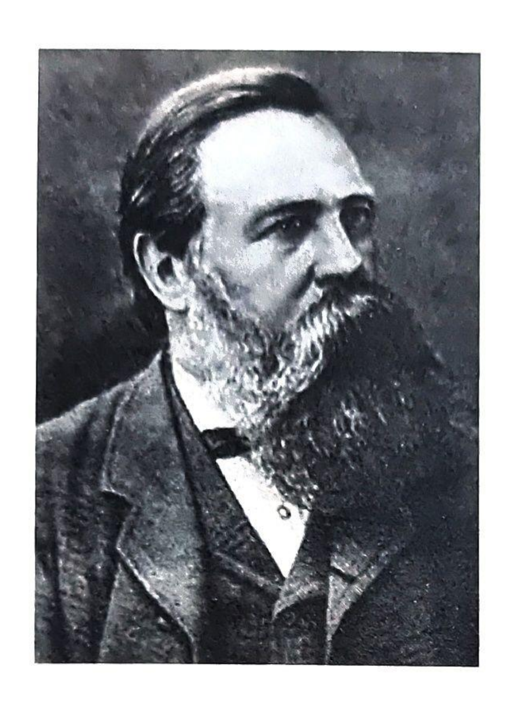
عش لتموت



ليس هنالك مغزى من حمل الضغائن بعد العلاقة الفاشلة، كانت هذه منطقية دوستويفسكي. لم يكن المد والجزر في الحياة الرومانسية يزعجه: «يجب أن نكون ممتنين بشكل كامل للمرأة التي نحب، لكل يوم وكل ساعة من السعادة والبهجة التي تعطينا إياها. كما يجب أن لا نطلب منها أن تفكر فينا فقط طوال حياتها».

فريد ريك أنجلز

(1820 ـ 1895)



«لا تقدم الأمثلة التي تدور حول الطيور المخلصة أحادية الأزواج أي دليل للرجال، فنحن لا ننحدر من سلالة الطيور».

لم يكن الباحث الألماني فريدريك **أنجلز** يؤمن بأن الزواج الأحادي من طبيعة الرجل، وقد رفض الأدلة غير المؤكدة في الحيوانات على أن لا صلة لها بموضوع النقاش، إذ كتب ما يلي:

إذا كان الزواج الأحادي يعتبر قمة الطهارة، فلا بد أن النخلة تنتمي إلى الدودة الشريطية التي تحمل جهازًا جنسيًا ذكوريًا وأنثويًا في كل أجزائها التي تتعدد من الخمسين حتى المئتين، وتقضي حياتها في تخصيب نفسها لكل جزء.

عاش أنجلز وفقًا لمعتقداته، وكان نادرًا ما يسخر نفسه لامرأة واحدة طوال حياته. ثم في عام 1846 حاول فريدريك أنجلز أن يقنع أعز أصحابه كارل ماركس بزيارته في باريس.

لو كان مقدار دخلي 5000 فرنك لما فعلت شيئًا سوى العمل وإمتاع نفسي مع النساء حتى أموت. ولو لم يكن هناك نساء فرنسيات، لما كانت الحياة ستطاق؛ لكن بما أن هناك «جريسيتيز»، فإن كل شيء على ما يرام وفي أحسن حال.!

«جريسيتيز» هن النساء الفرنسيات من الطبقة العاملة، حيث يعملن في مصانع النسيج نهارًا ويتغازلن مع الرجال مساءً. لسن بائعات هوى (أو على الأقل ليس جميعهن)، لكن لديهن سمعة سيئة في كونهن «سهلات المنال»[13]. مع ذلك، كان أنجلز يصم الدعارة بوصفها «أكثر استغلال محسوس، إذ يهاجم البورجوازي جسد الطبقة العاملة».

استمتع أنجلز برفقة العديد من النساء، من النساء الفرنسيات العاملات اللاتي ذكرناهن سابقًا إلى الأختين الأميتين الإيرلنديتين اللتين واعدهن بشكل متتالٍ. حتى أنه قد تزوج إحداهن، ليزي بورنز، على الرغم من عدم تقبله لفكرة الزواج. وقد تبين أن الزواج المدني ذو منفعة غير مباشرة لأنجلز، فقد تزوج ليزي في حين كانت تحتضر.

عندما أصبح كارل ماركس والدًا لطفل أنجبته خادمته، هيلين ديموث، تدخل أنجلز ليحمي سمعة صديقه المتزوج. فعندما انتشرت شائعات أُبوة ماركس، حوّر أنجلز الشائعات ولمح بأن هذا الطفل له

---

(13) . لم يهتم مارك توين بمدى سهولة النيل منهن. فقد كتب أن الجرسيتزِ كنّ "مثل جميع نساء فرنسا اللواتي رأيتهنّ – بشعات."

وليس لصديقه ماركس. كان التفسير واضحًا لزوجة ماركس، ولم تخسر الخادمة عملها في منزل ماركس. بقيت هوية الطفل سرًا حتى أصبح أنجلز على فراش الموت واعترف.

بكلماته

بيان المبادل

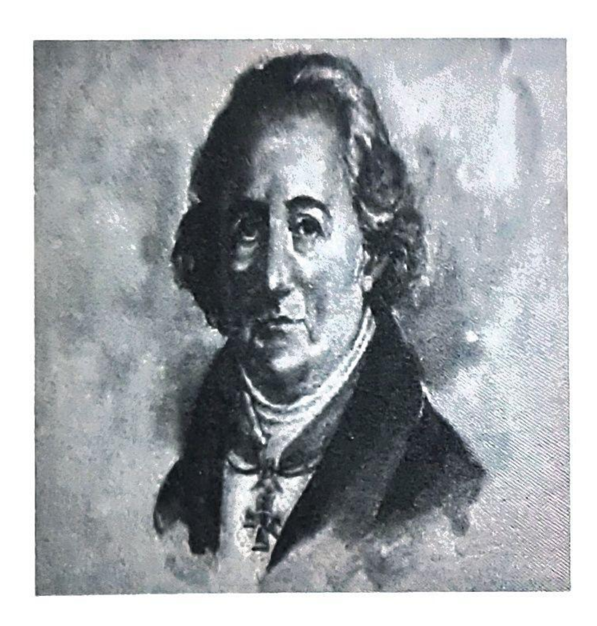


الأسرة النواة - التي تتكون من الزوج والزوجة والأطفال - منتج بورجوازي من الرأسمالية. وحسب البيان الشيوعي الذي ألفه أنجلز وماركس، فإن شكل الأسرة التقليدي مبني على «الرأسمال والربح الخاص». تقدموا خطوة إضافية وأدانوا جميع العلاقات الزوجية بكونها علاقات مقيدة. ما تحققه الزيجات أحادية البروستانتية شراكة تقود إلى الرتابة والملل، المعروفة بـ«عش السعادة».

كان أنجلز مؤمنًا بأن الأمور سوف تتغير حين تثمر الثورات المجتمعية. وقد كتب أنجلز «يمكن للمساواة بين المرأة والرجل أن تكون حقيقية إن تم إلغاء الإستثمارات الرأسمالية من كلا الطرفين». من دون الملكيات الخاصة، يمكن للعوائل التقليدية أن تتفكك، وقد يبدأ تبادل الزوجات.

يوهان فولفغانغ فون غوته

(1749 ـ 1832)



«الحب أمر مثالي، والزواج أمر واقعي: والخلط بين ما هو واقعي ومثالي يجعلك تفلت من العقاب».

كان يوهان فولفغانغ فون غوته أحد أوائل **الرومنطقيين** الألمان الذين حولوا المعاناة إلى فن، إذ أغرم بالعديد من صعبات المنال خلال سنين عمره، ما خلّف قلبًا مكسورًا على الدوام يمد قدراته على الكتابة.

وقع في الحب لأول مرة في سنّ الخامسة عشر المرهف مع إحدى زميلاته في المدرسة. كتب غوته بتفاؤل عن تلك الفتاة التي لم يذكر اسمها: «لم تعط يدها لأي أحد، ولا حتى لي. لم تسمح بأن يمسها أحد، إلا أنها كانت تجلس بجواري عدة مرات. وعلى الرغم من هذا، حتى لو

أنني اقتربت منها... ستنسحب»[14]. في مرحلة ما، استطاع نيل قبلة من تلك الشابة، حيث وضعتها على جبينه، وكتب «كانت أول وآخر مرة تلبي فيها رغبتي، إلا أني –وا آسفاه– لن أراها مجددًا».

رحلت تلك الفتاة عن البلدة، وصُدم غوته عندما سمع أنها كانت تعتبره طفلًا، فكتب: «تبدو تصرفاتها الباردة وصدها إياي، الذي كان يجذبني إليها، لي كريهة للغاية الآن. لقد اقتُلع ذلك السهم بخطافه الشائك من قلبي».

أصبح غوته الشاب مكتئبًا، فلم يكن يأكل أو ينام جيدًا، إذ أن تأثير علاقته الغرامية بقي فيه طوال حياته. وقد أشار إلى علاقته هذه في سيرته الذاتية بأنها «خيبة أمل» كبيرة بالنسبة إليه، راثيًا الـ«مأخوذة منه» (في حين من الواضح أنه لم يتمكن من نيلها أصلًا).

في سن الرشد، أحب صديقته شارلوت فون ستين بجنون، ولم يخطر ببالها مبادلته المشاعر - فقد كانت متزوجة وأم لسبعة أطفال ينافسونه على شد انتباهها، إلا أن غوته لم يكن يستطيع أن يخفي إعجابه بها وحاول التقدم لإثنتي عشرة سنة عاشها بالقرب من عائلتها، قبلت صداقته ولكنها رفضت أي شيء آخر بأدب. فانتقل غوته إثر ذلك إلى إيطاليا، وبقيا يتراسلان حتى توفيت عام 1827.

اتضح أن علاقات غوته الجنسية شاذة من خلال حبه «السرّي» لأخته الصغرى كورنيليا. عاش غوته أوقاتًا عسيرة في كبت أسراره، إلا أنه كتب عن حبهما المحرم في مذكراته. «لقد أكدت لي بأني الشخص

(14) . لعلها قرأت بعضًا من قصائده الإيروتيكية التي كان يكتبها وقت الفراغ، وها هنا بعض منها ضمن آخر ما كتبه بعنوان "ملك العفاريت": "أحبك، وجسدك الناعم يغريني، وإن لم تنصاعي فسألجأ إلى القوة."

الوحيد الذي يحبها بصدق ويتفهمها، ويقدرها... لقد كان كل منا يظن بأنه غير سعيد على الإطلاق، وأتعس من ذلك، كما يتضح في هذه العلاقة، أنه لا يمكن تحويل الأقارب إلى أحبة».

حطم زواج كارولينا خيالات غوته، ولكن قد يكون هذا ما جعله يقف مجددًا على قدميه. فقد التقى بكريستين فيلبوس، المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تغير مشاعره. إذ فقد عذريته معها، متخطيًا بجسارة صفته بالعذرية طوال تسع وثلاثين سنة. عاشا معًا بزواج عرفي وقد أنجبا سبعة أطفال، وتزوجا رسميًا عام 1806.

بعد وفاة كريستين في عام 1816، وقع في حب امرأة أخرى تدعى أوليك فون ليفاتزو. لم تكن والدة اوليك تحب غوته، ولم يمتلك الجرأة ليتقدم إلى اوليك. فالبنسة إلى غوته، كانت الأمور صعبة المنال أكثر رومانسية على كل الأحوال.

بكلماته

ملك الانتحار..



كانت الغراميات التي لم تتحقق طاعونًا في حياة يوهان وولفغانغ فون غوته حتى كاد يبلغ الأربعين. وقد شكلت تلك الغراميات المادة الخام لشعره ونثره.

كان الكتاب الذي أطلق نجم غوته في سماء الأدب هو «آلام الشاب فرتر»، الرواية الرسائلية التي يقع فيها شاب في حب امرأة متزوجة، إلا أن ذلك الحب لم يرد في المقابل بلطف؛ فقال في الرواية «أحيانًا أنبئ

نفسي بأن لها مصيرًا فريدًا. فحين أفكر بحظ الآخرين، أقول لنفسي، لم يُعان أحد مثلك».

تحذير من حرق الأحداث! يقوم الشاب فرتر، التعب من آلامه، بإطلاق النار على نفسه في نهاية الرواية. كتب غوته شخصية فرتر مستلهما حياة صديقه أورشليم الذي انتحر بعد علاقة غرامية. وكان غوته نفسه يخوض غمار أفكار انتحارية أيضًا، إذ كتب:

من بين مجموعة أسلحة مميزة، اقتنيت خنجرًا جميلًا ومصقولًا بعناية. حاولت في كل ليلة أرقد فيها على سريري - قبل أن أطفئ الشمعة - معرفة ما إذا كنت سأنجح في غرس الرأس الحاد مسافة إنشَين في قلبي.

كما كان يعزو فضل كتابة «فرتر» إلى نوبات اكتئابه، لكن كان للرواية أثرٌ معكوسٌ على الجمهور.

باتت الرواية ظاهرة أدبية عبر أوروبا حين نشرت عام 1774. وكان هناك العديد من الشبان مفطوري الفؤاد ممن ارتدوا بناطيل صفراء ومعاطف زرقاء وقمصانًا مفتوحة الصدر من باب تقليد شخصية الرواية الرئيسية. كما قام عدة شبان – للأسف – بتحية بطلهم عن طريق الإقدام على الانتحار.

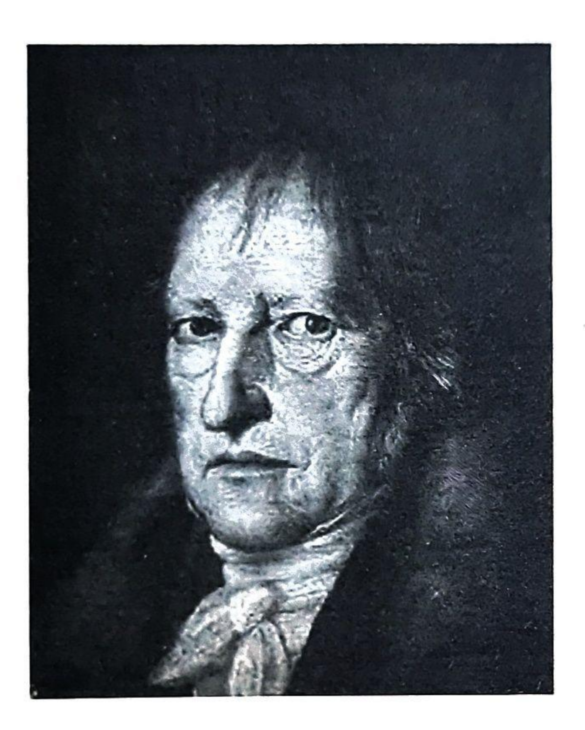
انتشر الانتحار بأرقام كبيرة عبر القارة برمتها، وكتب غوته عن ذلك «ليس المطلوب لتفجير منجم كامل سوى عود ثقاب صغير، ولذلك كان الانفجار الذي أعقب نشري [الرواية] هائلًا». قامت السلطات في إيطاليا وألمانيا والدانمارك بمنع الكتاب لأجل صد العدوى من جيل شاب متأثر. وبذلك، انحسرت موضته كأي موضة أخرى[15].

---

(15) . لتعود مرة أخرى (دون انتحار) على يد فرقة الروك البريطانية "ذي كيور" في بداية ثمانينات القرن العشرين.

جورج ويليام فريد ريك هيغل

(1770 ـ 1831)



«ما بين الرجل والمرأة مثل ما بين الحيوان والنبات»

كتب الفيلسوف الألماني جورج ويليام فريدريك هيغل «لا يمكن أن يحل الحب إلا تجاه ما يماثل وجودنا وصداه ومرآته». واستنتج أنه بما أن البشرية مخلوقة على هيئة الرب، فهو الأحق في الحب الحقيقي، أما الرومانسيات على الأرض فليست سوى انعكاس سطحي للحب الإلهي. إلا أن هذا لم يحم هيغل من أن يكون أبًا لطفل غير شرعي من زوجة صاحب المنزل التي تدعى كريستينا بيركهارت. وعلى الرغم من أن كريستينا قد هجرت زوجها، إلا أن هيغل قد خشي انتقام صاحب الأرض، فترك القرية بعد شهر من ولادة طفله.

في سبتمبر عام 1811، تزوج هيغل ذو الأربعين سنة من ماريا هيلين سوسنا فون توشر، وهي امرأة نحيلة بنصف عمره. أنجبا طفلين من زواجهما وضما حضانة إبنه غير الشرعي من كريستينا إلى عائلتهما عام 1816.

أحدث هذا الزواج صراعًا مدويًا بين هيغل وشقيقته كريستينا لون (لا تخلطوا بينها وبين كريستينا بيركهارت، والدة إبنه الأول). دعا هيغل كريستينا إلى منزل عائلته لتساعد في شؤون المنزل في حين كانت زوجته حاملًا بطفلهما الأول. كان هيغل قد أخبر أخته بأن هدفه من الزوج لا ليكون سعيدًا بل «ليكون مقتنعًا». إلا أن كريستينا التي طالما كانت مقربة لأخيها، استشاطت غضبًا وتركت المنزل، مما أدى إلى تكهنات البعض بأنها تملك مشاعر غير طبيعية تجاهه ولم تستطع أن تراه مع امرأة أخرى لا يحبها كما باح لها.

خشي هيغل من أنه أخته مريضة عقليًا فأبعد نفسه وعائلته عنها. وفي عام 1831، بعد ثلاثة أشهر من وفاة هيغل، أكدت كريستينا هذه الشكوك عن طريق إغراقها لنفسها.

بكلماته

هذا لأجل السيدات



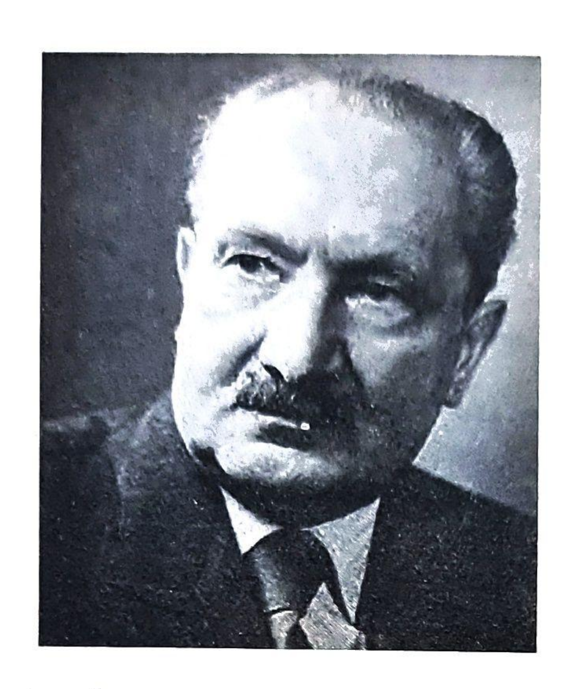
عفا الزمن على معتقدات هيغل الكارهة للنساء حتى خلال القرن الثامن عشر، عندما قال عنه المعاصر له **آرثر شبنغلر** «إنه آخر نصُب للغباء الألماني». لم تستمر آراء هيغل طويلًا، مثلما ترون من هذه

المقتطفات.

«يمكن للمرأة أن تتعلم بالطبع، ولكن عقولهن ليست مهيّأة للعلوم العالية كالفلسفة وبعض أنواع الفنون. قد يكون لديهن استلهامات سعيدة وذائقة ورقي، ولكنهن بالطبع لن يصبحن مثاليات، فما بين الرجل والمرأة مثل ما بين الحيوان والنبات... ولو أن امرأة تولت رئاسة الحكومة، ستكون الدولة في خطر محتم، لأنهن لا يتصرفن وفقًا لما يعرفن من الحدث بشموليته، بل وفقًا للأحداث العرضية والآراء».

مارتن هايدغر

(1889 ـ 1976)



«لماذا كان الحب أغنى التجارب البشرية برمتها وعبئًا حلوًا على عاتق من يقع في قبضته؟»

لا يوصى بأعمال الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر لطلاب الفلسفة المبتدئين. فكتبه ممتلئة بشذرات مثل («الوجود» لا يشبه شيئًا مثل وجود.... فما يحدد الوجود هو وجود آخر مثله، وفق الشروط التي يفهم بها عن حق). من حسن الحظ أن الشهادة العليا غير مطلوبة لمعرفة حياته العاطفية.

تزوج هايدغر **الفريدا بيتري** عام 1917، وبقيا معًا قرابة الستين عامًا. لم ينفصلا أو يتطلقا بغض النظر عن تصرفات هايدغر المنتشرة

والموثقة مع طالباته خارج نطاق الزواج.

و بالنسبة إلى علاقات هايدغر، فإن علاقته مع تلميذته **حنة آرنت** تعتبر الأبرز. فقد كتب إلى تلميذته ذات الثماني عشرة سنة، «عزيزتي الآنسة آرنت! يجب أن أراك مساء هذا اليوم لأتحدث إلى قلبك». وعندما زارته بمكتبه في جامعة ماربيرغ تلك الليلة، مارسا الحب لأول مرة. لم يكن كونه معلمًا وهي طالبته مزعجًا بالنسبة إليهما، فقد كان الأمر مجرد «حادثة» قد «حصلت» لهما. وقد كتب هايدغر لتلميذته المحببة، «لن أتمكن مطلقًا من أن أجعلك ملكي، ولكن من الآن فصاعدًا أنت جزء من حياتي». وللأربع سنوات التالية، استمرا بعلاقاتهما الغرامية الجسدية. كانا يلتقيان في مكتبه وفي الغابة القريبة من الحرم الجامعي. وعندما انضم هايدغر إلى الحزب النازي عام 1933، هاجرت اليهودية آرنت إلى أمريكا.

بعد الحرب، فكرت آرنت أن تسترجع صداقتها (وليس العلاقة الغرامية) مع هايدغر. كانت آرنت قد تزوجت ولكنها مؤمنة بأنها حب حياة هايدغر وليست ألفريدا. وبعد أن التقت مع هايدغر عام 1950، دافعت عنه علانية من النقد اللاذع الذي وجه له تجاه ماضيه في النازية. كما أن البروفيسورة **إليزابيتا ايتنغر**، مؤلفة كتاب بعنوان «حنة آرندت/ مارتن هايدغر» أخبرت مجلة نيويورك تايمز بأنه «لا يوجد أحد يعرف عن الحب والمشاعر الحقيقية وسيعتقد بأن تسامح آرنت لهايدغر مستغرب... فالحب غير منطقي أساسًا، ولا يوجد ما يمكننا فعله حيال هذا».

اتضحت مؤخرًا ممارسات زوجة هايدغر خارج نطاق الزواج: فقد

تبين أن إبنهما هيرمان كان نتاج علاقة جنسية مع صديق للعائلة، كان هذا سرًا لم يظهر لضوء الشمس إلا عند نشر «رسائل إلى الزوجة» عام 2005، وهي مجموعة من المراسلات بين هايدغر وزوجته من عام 1915 -1970.

بكلماته

شيفرة هايدغر

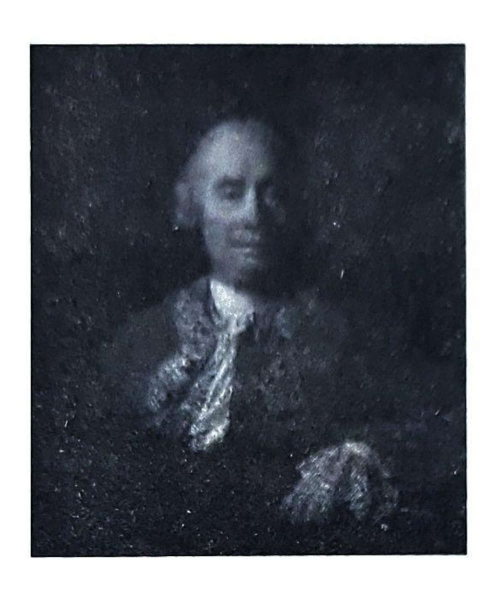


حتى بالنسبة إلى موضوع مثل الحب، كانت كتابات هايدغر معقدة أكثر مما هي واضحة. وإننا ندعو محللي الشيفرات المبتدئين ليفكوا رموز كلماته :

إننا نغير أنفسنا إلى الشكل الذي نحب، إلا أننا نبقى كما نحن. ثم نود أن نشكر الشخص الذي نحبه، ولكن لا نجد ما يؤديه بما يكفي. يمكننا فقط أن نكون ممتنين وشاكرين لأنفسنا، فالحب يجعل الامتنان يتحول إلى إيمان تام بأنفسنا وإيمان مطلق بالآخرين. إلا أن الحب ينشر أكثر الأسرار خصوصية بشكل مستمر، فالتقارب هنا يكمن في المسافات البعيدة من الآخرين - المسافة التي لا تذيب شيئا - بل تظهر «الأنت» بشكل واضح، ولكن «غامض» من الاكتشاف من «هناك فقط». إن وجود الآخرين الذين يدخلون إلى حياتَنا - هذا الذي لا يمكن لأي شعور أن يشمله بشكل كامل.

ديفيد هيوم

(1776 - 1711)



«لقد كان الخيار لي في من اخترت أن أقترن به للزواج. كان الخيار لي، وهذا صحيح، في ما يتعلق بسجني؛ لكن لا يمثل ذلك إلا راحة بسيطة بما أنه سجن».

بحسب رفيقه **دنيس ديدرو** فإن ديفيد هيوم كان مجرد «راهب قوي ومكتنز». لكن موسوعة ستانفورد الفلسفية كانت أكثر لطفًا تجاه عالم الاقتصاد الاسكتلندي، إذ وصفته بـ«أهم فيلسوف كتب بالإنجليزية على مر الزمان».

كان هيوم مؤمنًا بأن الحب الرومانسي «ينحدر من التقاء ثلاث انطباعات أو مشاعر مختلفة»:

1. المتعة الحسية التي تأتي من الجمال الخارجي.

2. الشهوة الجسدية رغبةً في التكاثر.

3. اللطف الكبير أو حسن النية.

لا يوجد أي دليل على أن أيًا من هذه المشاعر قد أنتجت حبًّا في قلب هيوم ذاته. إذ كان أقرب شيء إلى العلاقات الرومانسية في حياته علاقته بصديقته الفرنسية ذات الشخصية المرموقة الكونتيسه دي بوفلر. فقد كانا يتراسلان قبل أن يلتقيا في فرنسا عام 1763. وعلى الرغم من لقاءاتهما المتكررة خلال الستة التالية، إلا أنهما لم يدخلا علاقة جنسية. وأخيرًا، تخلت عنه لتتفرغ بالسعي خلف حبيبها الأكثر جاذبية، الأمير دي كونتي.

كانت معاملة الكونتيسه الباردة لا تكاد تزعج هيوم، وقد كتب بواقعية، «طالما أنني أحصل على متعة من نوع خاص برفقة النساء المتواضعات، فإنه ليس هنالك أي سبب يجعلني لا أستمتع بما تلقيته منهن».

بكلماته

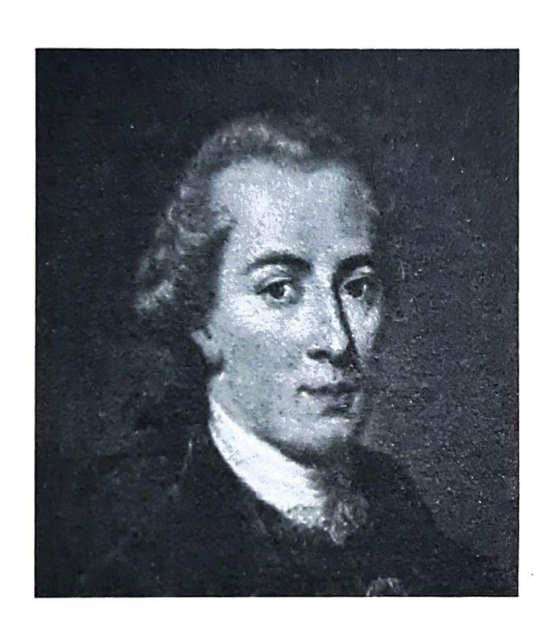
لعبة العتاب



كتب هيوم «إن النساء يردن السيطرة على الرجال والرجال يردن السيطرة على النساء». وقد وجد أن كِلا الجنسين على خطإٍ في معركة السلطة الأبدية هذه، لكن الرجل من بدأ بها: «لو لم نفرض سلطتنا [على النساء] قهرًا، لما فكرن أبدًا بمزية الاستيلاء عليها».

إيمانويل كانط

(1804 -1711)



«إن العلاقة الجنسية هي فائدة متبادلة بحيث أن أحدهما صاحب الأعضاء الجنسية ويمد بها الآخر».

حسب معاصره يوهان **فريدريك ريكارت**، فإن الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط كان « **أكثر جفافا من التراب، في كل من جسده وعقله**». كان كانط يعيش كل يوم وفقًا لجدول معين، وقد كان جيرانه يضبطون ساعاتهم وفقًا لموعد تمشّيه المسائيّ. حتى أنه لم يسبق له وأن تعرق - ولا حتى مرة في حياته. ولن يفاجئنا أن حياته الغرامية كانت جافة بقدرها.

كان كانط مؤمنًا بأن الحب قبل الزواج - وأي ممارسات جنسية أخرى عدا التي تنتهي بالإنجاب - غير أخلاقية. بالإضافة إلى أن

الرغبات الجنسية في حد ذاتها تعتبر خطيئة «كونها تحول الشخص إلى أداة...و طالما كان الشخص مملوكًا، والرغبة مشبعة، فإنه سيرمي الحب، كما يرمي قطعة الليمون بعد أن عصرها وأخرج كل ما فيها».

لكن الرغبات الجنسية مباحة في الزواج إن كان كل طرف يحول الآخر بشكل متساوٍ إلى أداة لإشباع رغباته. كما قد ساوى بين جنس ما قبل الزواج والعبودية الجنسية، بما أن حياة المرء الجنسية ممنوحة بلا عقد يكفل تساوي الطرفين، إذ كتب «ليس من المقبول فقط للجنسين بأن يستسلما ويخضعا لبعضهما بعضا للاستمتاع تحت مسمى الزواج، بل لا يسمح لهما بأن يفعلا ذلك إلا تحت هذا المسمى».

وليس من المستغرب كونه لم يجد امرأة توافقه على وجهة نظره تجاه الزواج. وعلى مرّ السنوات، شدّت انتباهه امرأتان، ولكن لم يتبع أيًا منهما؛ وقد أعرب عن أسفه لاحقًا، مشيرًا إلى أن فقره كان السبب الذي جعله لا يريد أن يعقد قرانه، وقد كتب، «عندما احتجت زوجة في حياتي، لم أستطع أن أحصل على واحدة». لكن في الحقيقة، لم يكن معقولًا بأن كانط سيسمح بوجود أي خلل في جدوله اليومي الدقيق.

بكلماته

فحص اليد!

♥

على الرغم من أن كانط لم يحظ بتجارب مع النساء، إلا أنه قد ظهر بأنه لا يملك تجارب حتى مع نفسه. فقد كان يرفض حتى أن يذكر اسم

«الإثم العظيم» الإستمناء، ولكن يمكننا أن نقرأ بين السطور:

إن الاستعمال غير الطبيعي (إساءة استعمال) لرغبات الشخص الجنسية هي انتهاك لنفسه، وبالطبع مخالفة للأخلاقيات في أعلى مراتبها، ويشعر الجميع مباشرة، عند التفكير بهذا الأمر، بكراهية متزايدة تجاه هذه الفكرة التي تعتبر غير أخلاقية حتى وإن سمي هذا الإثم باسمه المعروف...في هذه الحالة الإثم العظيم هذا يكون كما لو أن الرجل بشكل عام يشعر بالعار لكونه قادرًا على معاملة نفسه بهذه الطريقة، التي تضعه في مرتبة أسفل من الوحوش.

كان كانط مؤمنًا بأن الاستمناء يعتبر إثمًا أشد من «قتل النفس». فعلى حد زعمه، أن الانتحار يحتاج إلى شجاعة: أما الاستمناء فهو ببساطة يحدث عند الضعف أمام الشهوة.

سيورين كيركيجارد

(1813 -1855)



«إن الحب هو كل شيء، يعطي كل شيء، ويأخذ كل شيء»

وقع أبو الوجودية الدانماركي سيورين كيركيجارد في الحب للمرة الأولى عندما كان في الرابعة والعشرين[16]. كانت ريجين اولسن تبلغ من العمر حينذاك خمسة عشر عامًا فقط عندما لفتت انتباه الفيلسوف متقلب المزاج. كان افتتانه المؤقت يشتت حالته المستمرة من الحزن. وقد كتب كيركيجور في مذكراته فيما يخص حبه لتلك الفتاة، «يا إلهي، لمَ

(16) . أم أوجس "لدغة الحب" في وقت أكبر؟ هناك قصة متكررة عن كون كيركيجارد ارتاد بيت دعارة قبل عام من لقائه ريجينا أولين، وعاش على عار تلك الذكرى إلى الأبد. هناك جملة من مذكرات عام 1836 تشير إلى لقاء غامض مع "ضحك صاخب" ويمكن أن تفسر على أنها تمويه على زيارات كتلك، لكن جون أبدايك يكتب: "لا يبدو أن ذلك ممكن الحدوث بوصفه جزءًا من حياته الطلابية الصّاخبة."

استيقظت هذه المشاعر الآن - آه، كم أشعر بالوحدة»!

انتظر كيركيجارد مثل النبلاء حتى بلغت الفتاة الثامنة عشرة كي يتقدم إليها. وقد أخبرها عندما وصلت هذا العمر، «لقد كنت أريدك منذ سنتين»، فصمتت لوهلة ثم أخبرته بأنها تواعد أحد أساتذتها، ولم يكترث كيركيجور كثيرًا، إذ قال بثقة، «لدي الأولوية». ثم صمتت مرة أخرى، فذهب من دون أن يحظى بإجابة.

و حتى لا تنكسر آمال كيركيجور، قام بزيارة والد ريجين. لم يعطه والدها إجابة صريحة بالقبول أو الرفض، ولكنه وافق للشاب العاشق أن يلتقي مرة أخرى مع ابنته. وعندما تقدم إليها كيركيجور مرة أخرى، خضحت ريجين لإلحاحه ووافقت.

بعيدًا عن الفرحة، أصبح اكتئاب كيركيجور أسوأ كثيرًا.

أخفى أفكاره السوداوية عن خطيبته الجديدة - وقد نجح في هذا، وبعد سنة من خطوبتهما، قال بثقة «إنها لا تعرفني حقًا». وعلى الرغم من أنه أعدى ريجين بيأسه، إلا أنه قرر فسخ الخطوبة بأقل ضجة ممكنة عن طريق الإنفصال عنها برسالة. وقد كتبت له ردًا بأنه «يمكنه أن يفعل بها ما يشاء، أي شيء حرفيًا».... إلا أن يتركها.

خلال الشهرين التاليين، أصبح يعاملها بفظاظة ويتصرف كالأشرار على أمل أن تتركه حبيبته. وقد كتب كيركيجور بأن ذلك الوقت «مخيف بقدر مؤذ - إذ كنت أعاملها بقساوة، في حين أنني أحبها».

عندما انتهت خطوبتهما بشكل تام بعد ثلاثة عشر شهرًا، سألته أولسن إن كان سيتزوج خلال حياته. فقال لها رغبة منه في أن يبعدها عنه إلى الأبد، «نعم، بعد عشر سنوات... سأحتاج إلى فتاة شهوانية

حتى تجدد لي شبابي». فطلبت منه أن يقبلها، ففعلَ قائلا: «من دون مشاعر - أيها الرب الرحيم!». تزوجت ريجين بـ جون فريدريك شليغل، الأستاذ الذي كانت تواعده قبل أن يتقدم إليها كيركيجور.

عانى كيركيجور طوال حياته من خيانته لريجين. وقد كانت مخاوفه هي أنها «ستفقد عقلها لو عرفت ماهي حقيقة الأمور». بعد عقد ونصف من الزمان، أغرق كيركيجور نفسه بكتاباته الدينية. (و لم يتزوج «بائعة هوى» أبدًا). وفي وصيته، ترك كيركيجارت كل شيء يملكه لريجين، فطالما كان يعتقد بأن خطوبتهما كانت وثيقة كما لو أنه عقد زواج. إلا أن زوجها كانت له تفاسير مختلفة ورفض مسألة الإرث الذي حصلت عليه ريجين.

بكلماته

دائمًا على باله



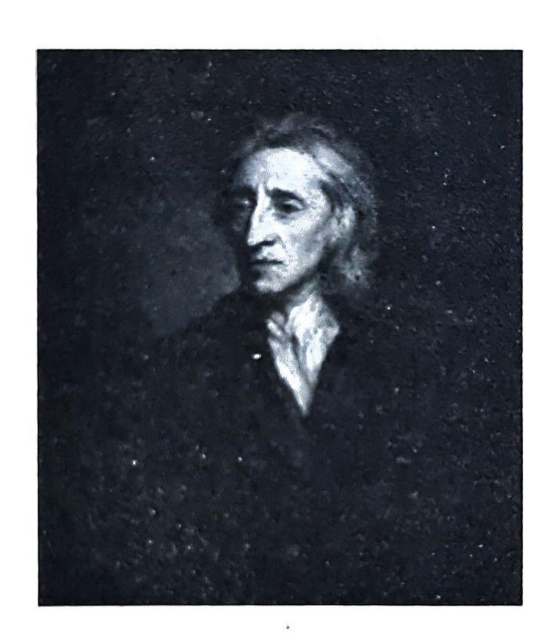
على العاشقـ(ة) أن يتخلى عن كل دفاعاتهـ(ا) إذا ما أراد(ت) أن ينذر نفسه لأحد ما بشكل كامل، وهذا ما يجعل العاشقين دومًا في مواطن ضعف. كان كيركيجور مؤمنًا بأن العشاق لن يكونوا وحيدين أبدًا لأن الرب يحميهم دائمًا:

ينسى العاشق نفسه وألمه بسبب تفكيره بشخص آخر ومعاناته وألمه، وينسى كل مآسيه بسبب التفكير بمآسي شخص آخر، وينسى ما فقد حبًا في التفكير بما فقده شخص آخر، كما ينسى مصلحته من أجل مصلحة الآخر وبكل الحب - والحقّ أقول إن شخصًا مثله لا يمكن أن يُنسى،

وهنالك أحد يفكر به: أي الرب في الجنان.

جون لوك

(1632 ـ 1704)



«لا توجد حاجة ماسة إلى الطبيعة في الزواج، ولا ضرر في انتهائه، يجب أن تكون الحاجة إلى الحياة فقط».

كتب توماس جيفرسون مرة عن الفيلسوف الإنجليزي جون لوك بأنه كان أحد «أعظم ثلاثة رجال من دون استثناء». وبصفته منظرًا سياسيًا، فإن جون لوك وضع الأساسيات الفلسفية لدستور الولايات المتحدة من خلال كتاباته عن الحريات الشخصية وحقوق الملكية. إلا أنه من خلال مساعيه السياسية، كان يضحي بمساعيه الشخصية، إذ لم يتزوج ولم يحظ بأطفال من صلبه.

كان للجذاب لوك العديد من الصداقات مع النساء على مر السنين. ومن الواضح أن البعض منهن أردن أن يكنّ أكثر من صديقات بالمراسلة معه؛ وقد كان هذا بعيدًا جدًا عن إدراك لوك. فقد كانت تتخلل اللغة التي يتسخدمها مع صديقته الينور باري على سبيل المثال لمعة من **الرومانسية** في البداية، وقد كان يصفها بقوله «**تسرقني من عقلي**»، مضيفًا أن «الحب نار وشعلة ملأى بالحرارة والدفء». كانا يتبادلان الرسائل الغزلية على مدى سنتين، لكنه لم يتخذ أي خطوة حاسمة تجاه مغازلته لها - على الرغم من أن باري كانت تلمح في العديد من المناسبات بأن لوك يوشك على التصريح بمشاعره. وعندما باءت محاولاتها بالفشل، سألته ببرودة إن كان الآن غير مبالٍ في الحب الذي «حفرته في قلبي؟» وسرعان ما فقدت رسائل لوك روح الرومانسية. فكتبت باري في رسالتها الأخيرة:

كم هو صعب عليك أن تخفي أفكارك وروحك وقلبك عن الشخص الذي يعرفك حق المعرفة كما أعرفك... ما زلت تحبني... [سنلتقي]، على ما أعتقد، في العالم الآخر، ما دمنا لن نلتقي في هذا العالم[17].

كانت أطول علاقة صداقة للوك مع داماريس كودورث. بدءا بالمراسلة عام 1682 عندما كانت تبلغ ثلاثة وعشرين عامًا، وكان هو في التاسعة والأربعين من عمره. وعندما أصبحت كودورث مخطوبة للسيد فرانسيس ماشام، كتبت إلى لوك رسالة مفادها بأن أحد الأصدقاء المشتركين قد أخبرها «بأنك تحبني جدًا». وأنها كانت

(17). لا بدّ أن لوك لا يزال يصدّ محاولاتها في العالم الآخر.

«غاضبة للغاية» من هذا الخبر. من الواضح أنها كانت تريد أن تعرف حقيقة مشاعر لوك تجاهها.

لم يمتط لوك، الذي كان في هولندا وقتها، ظهر الحصان ليأخذها بعيدًا. وبدلًا من ذلك، كتب لها رسالة استلمتها في يوم زفافها. وبما أنها لم تحتفظ بالرسالة، فإن الرسالة لم تكن اعترافًا بحبه الحقيقي لكودورث كما كانت تتمنى، فمضت إلى حياتها الجديدة زوجةً وأمًّا.

في وقت لاحق، أكدت السيدة ماشام المتزوجة حديثًا بأن الروابط الفكرية التي تتشاركها مع لوك لن تتحطم بسبب الزواج: «إن كل الأشياء التي تدور في فكري ذات طبيعة خالدة: كما هي صداقتنا دون أدنى شك». وبينما كان لوك لا يزال في هولندا، أنجبت السيدة ماشام طفلها الوحيد.

عاد لوك إلى إنجلترا عام 1691 وقد دعته السيدة ماشام ليعيش في منزلها. وهنا، يمكن القول بثقة بأنه لن يكون هنالك مشاغبات بينهما، خاصة أن صحة لوك كانت ضعيفة خلال السنوات الأخيرة من حياته. وفي رسالة إلى أحد أصدقائه، كتب لوك، «لا أجد بأن عمري يحدني من التفكير [بالحب]، إلا أن صحتي ..... هي المعوّق الوحيد».

عاش لوك مع السيدة **ماشام** حتى وفاته عام 1704. وقد ترك أملاكه إلى ابن ماشام، فرانسيس كودورث ماشام. كُتب على شاهد قبر لوك، «إن محاسنه، وإن كان له أصلًا محاسن، كانت أقل مما يمكنه الإشارة إليها أو لتكون خير مثال لكم؛ فاجعلوا سيئاته تُدفن معه».

بكلماته

لا تعبثي يا حبيبتي

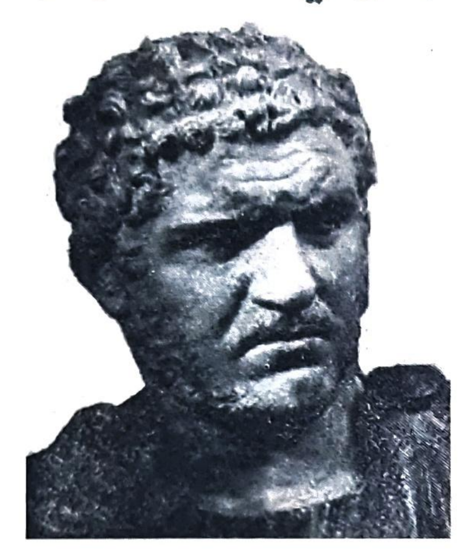


كان جون لوك يؤمن بأن الرجل الواقع في الحب يجسد قدرة الإنسان على خداع النفس.

قد توحي قوة فكرة واضحة بانطباع ما، إلا أنهم يقفون بصمود ويصدون العدو المتمثل في الحقيقة التي قد تأسرهم أو تشوش عليهم. أخبر رجلًا مغرمًا بأنه سيُهجر، أو احضر شهودًا ليشهدوا له على خداع معشوقته له. وعلى أن ما سيحدث مستحيل، إلا أنها بثلاث كلمات لطيفة منها ستبطل كل شهاداتهم.

تيتوس لوكريتيوس

(حوالي 55 ـ 99 ق م)



«تجنُب فخ الحب أسهل من محاولة الهروب منه حين تقع».

لم ينج من أعمال الفيلسوف الروماني تيتوس لوكريتيوس إلا قصيدة «في طبيعة الأشياء» الفلسفية، ويعرف القليل جدًا عن حياة لوكريتيوس باستثناء القيل والقال العديد من التكهنات. لكن الأسطورة الأكثر إصرارًا على الذكر تتضمن التورط في ازدراء النساء، التسميم، الهلوسات والانتحار - أي كل المكونات الرئيسية لصناعة حكاية.

كتب لوكريتيوس، «النساء مخططات على الدوام للمكائد». ويفترض أن رأيه هذا ناتج عن تجربة شخصية، ترابطًا مع أسطورة اكسير الحب (التي دُونت لأول مرة في القرن الرابع بواسطة القديس جيروم).

كانت زوجة لوكريتيوس، واسمها لوسيلاّ، متعبة من تجاهل زوجها لها وانشغاله بكتابة القصائد، فاستعانت بساحرة لتعطيها اكسير الحب. فصار لوكريتيوس يرى خيالات مرعبة من «الكون الأبيقوري، بذرات تتصادم بشكل لا نهائي في الفراغ»، وفقًا للكاتب لورد تينيسون. وبدلاً من أن يقع في حب زوجته، وقع لوكريتيوس في غرام «فضيلة السكون الأبيقورية».

سجل لوكريتيوس هدوءه الإلهي مباشرةً في سلسلة من الكتب «خلال فترة جنونه»، ولكن بما أنه لم يتلق إجابة من الكون، انتحر في الرابعة والأربعين عن طريق غرس سكين في صدره.

بكلماته

لا أقول إنها لا تبحث لدى الرجال عن المال



كان الجنس أمرًا مقبولًا أخلاقيًا لدى لوكريتيوس طالما لم يتخلله الحب. فالمغرم جريح يمشي، وعبد لرغبات محبوبه

يتألمون من جراح لا يمكن لأحد رؤيتها.

يتذكرون أيضًا بأن قوتهم مهدورة،

وتعبهم قد ضاع هباءً منثورًا: وحياتهم قد انتهت

و في إشارة واحدة: تختفي أموالهم

مهدورة في المفارش البابلية [18] ...

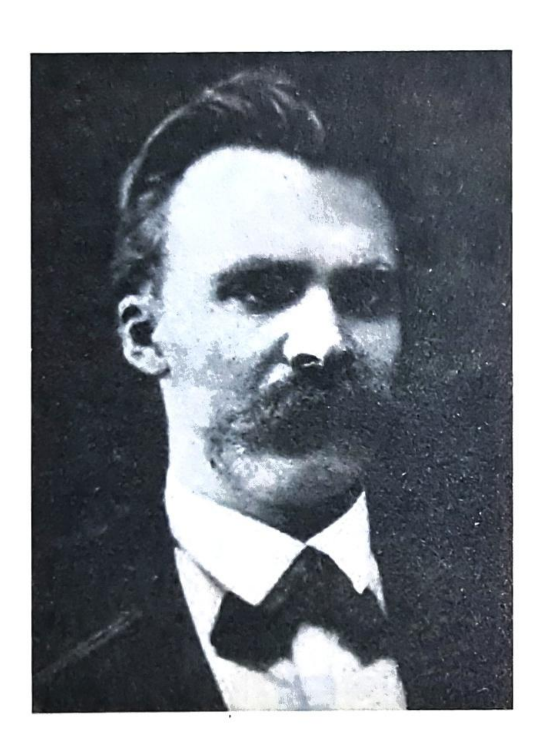
أو في معطف، أو فساتين...

---

(18) . كانت الأغطية البابليّة المطرّزة – تحديدًا أغطية الأثاث الفاخرة – شيئًا ثمينًا للغاية في روما القديمة، إذ اشتراها الإمبراطور نيرو مقابل أربعة ملايين سيسترزيس (ما يقارب 200 ألف دولار أمريكي اليوم)

فريد ريك نيتشه

(1900 ـ 1844)



«آه من النساء. إنهن يجعلن السعادة أعلى والحزن أكثر».

ظل الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه أعزب طوال حياته، رغم تصريحاته الكارهة للنساء إلا أن هذا لم يثنهنّ عن التقرب إليه. كتب الصِّحافي «H.L.Mencken» عن ذلك، «لكون فلسفته قد جلبت إليه الشائعات بكونه مجدفًا وغير شريف، أصبح بطلًا في غرف الحمامات وساحات العديد من الحانات». فشل نيتشه في الاستفادة من فرصه في الحياة الرومانسية، إلا أنه كان يختار توجيه اهتمامه نحو النساء اللاتي ليس لديهن أدنى اهتمام به.

وقع نيتشه في الحب للمرة الأولى عندما كان عمره إثنان وثلاثون

عامًا مع مات هيلدا ترامبيرداش. وبعد لقائهما الثاني، أرسل لها نيتشه طلبًا للزواج بالبريد «هل تتزوجيني؟ إنني أحبك وأشعر كما لو أنك تنتمين إلي من الأساس... هل تصدقينني عندما أخبرك بأننا سنشعر بحرية أكثر ونصبح بحال أفضل إن كنا معًا أكثر من كوننا عازبين؟ إذن فلنرتق معًا». رفضت ترامبيرداتش لكونها مغرمة برجل آخر، فتقلصت رغبات نيتشه الجنسية إلى حد الاختفاء في الخمس سنوات التالية.

عام 1882، التقى نيتشه بشابة روسية تبلغ من العمر واحدا وعشرين عامًا تدعى لو فون سالومي، في زيوريخ. وقد كتب، «إنها بسيطة... ولكني أحب الفتيات البسيطات، كانت تحاول أن تثقف نفسها في سبيل أن تصبح أكثر جاذبية». في حين أن نيتشه الفيلسوف قد فتنها، إلا أنه كان غير مقنع بالنسبة إليها كعاشق - إذ رفضت عدة عروض للزواج كان قدمها لها. فكتبت إليزابيث، أخت نيتشه، رسالة غاضبة إلى سالومي تدافع فيها عن جرح كبرياء أخيها، وردت سالومي قائلة، «لا تفكري في أن لي أي تخطيط على أخيك أو تظني بأني مغرمة به: فأنا أستطيع النوم معه في الغرفة نفسها دون أن تراودني أية أفكار شهوانية».

بعد أن خطب رجل آخر سالومي بعدة سنوات، أخبر نيتشه صديقا له بأنه يتمنى لها «المزيد من السعادة والرفاه»، إلا أنه رفض أن يكتب إليها: «يجب على المرء أن يكون بعيدًا عن أولئك الذين لا يفهمون معنى المودة والاحترام». كان صديقهما المشترك راؤول ريه مذهولًا من هذا الموقف برمته، معلقًا بأنه لا يمكنه أن يتخيل كيف ستتمكن سالومي من تقبيله وشاربه الكثيف يقف في المنتصف.

أكد نيتشه في إحدى المرات مازحًا بأنه لم يسبق له أن لمس امرأة، والحقيقة هي أنه قد جرب عديد الممارسات الجنسية «بطلب من الأطباء»، إلا أنه لم تكن هناك علاقة ثابتة مع الأسف. وقد كتب نيتشه، «أما زواجي فسيكون ضربًا من البلاهة».

و في سنواته التالية، أصيب نيتشه بالجنون بسبب إصابته بعدوى مرض الزهري، الذي من المحتمل جدًا أن يكون من الممارسات التي أوصى بها الطبيب. كان نيتشه قد عُولجَ من الزهري في بداية عقده الثالث وعانى من أمراض صحية مستعصية - مثل ضعف النظر، والصداع، والتقيؤ، والإجهاد - وفي السنوات اللاحقة صار مصابًا بالعدوى بشكل أكبر[19].

في الثالث من يناير عام 1889، أُصيب نيتشه بانهيار عصبي حاد في أحد شوارع تورين بعدما رأى حصانًا يضرب بالسوط، فارتمى بذراعيه عليه وانهار عند أقدامه. وصل اثنان من رجال الشرطة إلى موقع الحادث ليجدوا نيتشه يهذي وشبه فاقد للوعي، ولم يسترجع سلامته العقلية خلال الإحدى عشر سنة الأخيرة من حياته.

بكلماته

القمع الكبير

♥

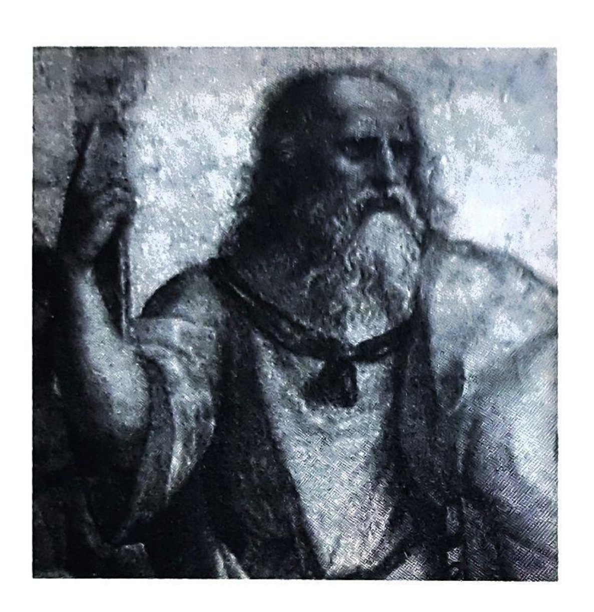
---

(19) . يشير صديق نيتشه، ريتشارد فاغنر، إلى كون مشاكل نيتشه الصّحية نابعة من إفراطه في العادة السرية. وقال نيتشه بعد أن تحسنت حالته "إن فاغنر مليء بالأفكار الخبيثة. لقد قبضت على نفسي بيديّ وجعلت من نفسي سليم الحال مجدّدًا."، ولا نعلم إن كانت توريته في هذه الجملة مقصودة.

انتقد نيتشه بشدة القمع الجنسي الذي كان يحدث في العصر الفيكتوري. وقد كتب، «إن الكنيسة تحارب الشهوة عن طريق قطعها بالكامل، قطعها بكل ما تعنيها الكلمة من معنى، بممارساتها وطرقها العلاجية، أي بالإخصاء. كانت المسيحية، من منطلق اليأس من الحياة، هي أول من بدأت بالتنجس من الجنس». وهذه تصريحات ساخرة من رجل كان يعاني باستمرار بسبب عدوى الأمراض الجنسية.

أفلاطون

(حوالي 347 ـ 427 ق م)



«الحب مرض عقلي خطير»

يوجد القليل من التفاصيل المعروفة لدى الجميع عن حب حياة أفلاطون، سوى أنه عاش طوال حياته أعزبًا حتى مماته في الحادية والثمانين. ولكن لحسن الحظ فإنه قد ترك الكثير من الكتابات التي تتحدث عن العلاقات بين الرجال والنساء، والكثير منها لا تتوافق والقارئَ المعاصر.

خذوا مثلًا فكرة «اليوتوبيا» كما وردت في كتابه «الجمهورية». فعلى خلاف المفهوم الحديث للمدينة الفاضلة أو الجنة على الأرض، فإن اليوتوبيا – المدينة الفاضلة – حسب أفلاطون مدينة تدار بواسطة قبضة الدولة الحديدية. وفي مدينة أفلاطون الفاضلة، يكون الزواج وفقًا

لتنظيم الدولة وقائمًا على تحسين النسل. فإن حظي أزواج « ذَوُو مستوى متدنٍّ » بأطفال، فعلى الأطفال أن «يؤخذوا إلى مكان غامض غير معروف، وفق اللازم». أما الأطفال الذين ترعاهم الدولة من أزواج «ذوي مستوى عالٍ » يؤخذون أيضًا من أهاليهم حتى يربيهم المجتمع: بحيث لا يعرف طفل والديه ولا والدان طفلهما، وعلى جميع الأطفال أن يدعوا جميع الرجال بـ«أبي» وجميع النساء بـ «أمي» وأن يدعوا بعضهم بعضا بـ«أختي» أو «أخي».

و لتجنب المشاكل المتعلقة بالملكيات الشخصية، فإن النساء لا ينتمين إلى أزواجهن فحسب. بدلاً عن هذا، يقول «على جميع النساء، دون استثناء، أن يكنّ زوجات مشتركات لـــ... الرجال، ولا يصح لأي رجل أن يأخذ زوجة بمفرده». ليس من الواضح أثر هذا البرنامج «العشوائي» على برنامج النسل الذي ترعاه الدولة، إلا أن أفلاطون أوضح أنه على النساء الحوامل الأصغر من العشرين عامًا والأكبر من الأربعين عامًا أن يقمن بالإجهاض أو سيُقتل المولود.

وفي حين أنه لم يكن هنالك مساحة للحب في مدينة أفلاطون الفاضلة، يوجد الكثير من المساحات المسخرة للحرب. إذ يُدرب الفتيان والفتيات ممن يرى أنهم مهيَّؤُون للقتال ليصبحوا جنودًا في عمر صغير: وإن لم يتمكنوا من إجادة فنون الحرب، فإن التقسيم العملي القسري للدولة سيساعدهم على اختيار مسار وظيفي آخر. فالهدف الرئيسي للمدينة الفاضلة هِيِ أن يصلوا إلى التفوق العسكري على الدول الأخرى والذي من شأنه أن يمكنهم من تهديد رفاهيتهم وقد يحصلون على الطعام الكافي لإطعام الشعب. وقد كتب الفيلسوف

برتراند راسل كل ما سيتحقق [في ظل رؤيته] هو إتقان الحروب والاكتفاء الغذائي، وقد عاش أفلاطون حياته في جوع وانهزام في أثينا، فلعل ما خطر في لا وعيه أن تجنب هذين الشرَّين هو أفضل ما يمكن للساسة فعله.

بكلماته

الحب الأفلاطوني

اليوم، نستخدم «الحب الأفلاطوني» إلى العلاقة الحميمة التي لا تتضمن الجنس بين فردين من جنسين مختلفين، إلا أن الأفكار التي يستعرضها أفلاطون من خلال أحاديث الشخصيات التي يكتبها مختلفة تمامًا. نلاحظ في أعماله التي تعتبر تحفة فنية، مثل «فيدروس» و«الحوار»، رسم أفلاطون صورة مجسدة وروحية للحب في الطبيعة؛ وقد أوجد حبًا مغايرًا لحب الإله، ألا وهو حب الجسد، وحب الذات، وحب الصديق، والأخير هو ما صدّر المفهوم الجديد لـ «الحب الأفلاطوني».

آين راند

(1982 -1906)



«عليك تعلم نطق كلمة "أنا" كي تقول "أنا أحبك"»

كانت الفيلسوفة الأمريكية - الروسية آين راند، المعروفة عبر رواياتها الفلسفية «أطلس متململًا» و«النبع»، تؤمن بأنه على المرء محبة ذاته أولًا كي يحب غيره. ووفقًا لحياتها الرومانسية البائسة، كان من الجلي آن راند تحب نفسها دون تفكير في العواقب.

وبعد أن أصبحت عامَ 1955، الروائيةَ صاحبةَ الكتب الأكثر مبيعًا، بدأت **راند** ابنة الخمسين سنة (والمتزوجة) علاقة حب مع **ناثانيل براندين** ذي الخامسة والعشرين سنة في مكان العمل. بعد أن كتب **لها براندين** رسالة إعجاب عام 1950، التقت راند وزوجها **فرانك**

اوكونر مع براندين وخطيبته باربرا، وسريعًا ما كون هؤلاء الأربعة علاقة صداقة بروابط فكرية مشتركة. وعندما تزوج براندين وباربرا، كان معهما راند وزوجها أوكونر كإشبين ووصيفة.

ورغم الخمسة وعشرين سنة التي تفصل بين براندين وراند، إلا أنها لاحظت التشابه بين أفكارهما الفلسفية. فقد جعلهما الإفصاح عن آرائهما في الحريات الشخصية، وسياسة الرأسمالية القائمة على حرية العمل، والعقلانية مؤسسين لمذهب «الفردانية» الفكري. كان حراكهما يرفض القيم الروحانية والإيثار، وبدلًا عن هذا يدعون إلى إيجاد أسباب للإشادة والمصالح الذاتية وجعلها في المرتبة الأولى. عندما هيأت راند براندين ليصبح «الوريث الفكري» لجميع أعمال حياتها، وقعا في حب بعضهما بعضا.

لكن هذه العلاقة لم تكن غرامية سرية: فبعد أن صرّحا بمشاعرهما تجاه بعضهما بعضا، طرحت راند وبرادنين فكرة علاقتهما لزوجة براندين، باربرا. في حين أن براندين كان مصرًا بأن مشاعره التي يحملها لراند لن تغير مشاعره تجاه باربرا في حال من الأحوال، أوضحت زوجته «وهي فيحالة ذهول كامل» بأن الأمور ليست على ما يرام[20]. وعندما دخل فرانك زوج راند على الثلاثة، باشرت راند بتفسير عرضهما له بذات نبرة الصوت ذاتها. بعد أن انفجر فرانك وباربرا غضبًا محتجين، بقيت أين راند هادئة ولطيفة وأكثر عنادًا. أوضحت لهما

(20) . رسالة إلى من ينوي الزنى: بينما يبدو طلبك من شريك حياتك أن تظل ينمّ عن التهذيب، إلا أنه يبقى قلة احترام. وقد أقرّ براندن بذلك فيما بعدُ، إذ كتب "ليست قسوتي وقسوة "أين" في كوننا وقعنا في الغرام أو سعينا إلى استكمال العلاقة بعده، بل في نقصنا التعاطف بشكل مروّع مع مأزق فرانك وباربرا."

طبيعة مشاعرهما، وأعربت عن تفهمها للألم الذي يشعران به، وحاولت أن تجعلهما يتقبّلان الوضع بتفكير قائد عسكري.

كان أغرب جزء في حديثهما ذلك الوقت هو أن كل ما يطالبان به هو علاقة عاطفية. إذ قالت راند، «الأمر ليس أننا نطلب علاقة جنسية». فقد كان كل ما يريدانه هو عدة لقاءات خاصة بشكل أسبوعي، لـ«يتحدثا»، فوافق شريكا حياتهما على مطلبهما.

وبما لا يدعو إلى الدهشة، بدأت راند وبراندين بالنوم بالنوم في فراش واحد معًا بعد خمسة أشهر. وقد كتب براندين، «لقد كانت تمارس الحب بتركيز كما تفعل بكل شيء آخر». كانت القوة الجنسية بعلاقتهما قد أشغلها عن استكمال روايتها «أطلس متململًا». وقد سألت براندين قائلة: «هل تم إرسالك من قِبل العدو حتى تمنعني من إنهاء هذا الكتاب؟». أنهت كتابها أخيرًا عام 1957، مهدية هذا الكتاب لكلًا من زوجها وحبيبها الشاب.

انفصل براندين عن زوجته أخيرًا في عام 1965، ولكن أصبح الخداع أكبر: فقد كان يلتقي بعارضة أزياء جميلة تدعى باتريشيا سكوت. لم تكن راند على علم بأنه يقيم علاقة مع سكوت، ولكن كانت تشعر بأنه يبتعد عنها عاطفيًا. حتى أنها قد وبخته قائلة: «لا يحق لمن أهديته كتاب «أطلس متململًا» أن يرغب في أي امرأة غيري! ولا أهتم حتى لو أني كنت في التسعين من العمر وعلى كرسيّ متحرك»!

عندما أفصح براندين لراند عن علاقته مع باتريشيا، جن جنونها، واعتبرت راند بأنه غير مناسب ليكمل دوره وريثًا أدبيًا لها؛ وقد عزلت براندين علنًا من الحراك «الفرداني» الذي بدءاه معًا، وقالت له في لحظة

غضب، «لم تكن شيئًا من دوني! وستعود إلى كونك نكرة بعد أن أنتهي منك». فأزالت اسمه من صفحة الإهداء للطبعات القادمة من كتابها، وحاولت إفشال نشر كتاب براندين الذي يحمل عنوان «**سيكولوجيا تطوير الذات**»[(21)].

وقف زوجها فرانك إلى جانبها صابرًا خلال فترة انفصالها عن براندين، ورغم التقلبات الكثيرة التي مرّا بها، إلا أن زواجهما قد استمر لأكثر من خمسين سنة، حتى وفاة فرانك عام 1979.

بكلماتها

الحب بما أقوله وليس بما أفعله



خشيت راند من مشكلة الخيانة الزوجية عندما قابلها الصِّحافي ألفن توفلر من مجلة بلايبوي عام 1964. حيث قالت، «أعتبر العلاقة الجنسية خارج نطاق الزواج أمرًا غير أخلاقي، وليس لأن الجنس أمرًا بشع، بل لأنه رائع أكثر من اللازم ومهم أكثر من اللازم». وعندما سُئلت إن كان لا يحق الجنس إلا للمتزوجين، قالت:

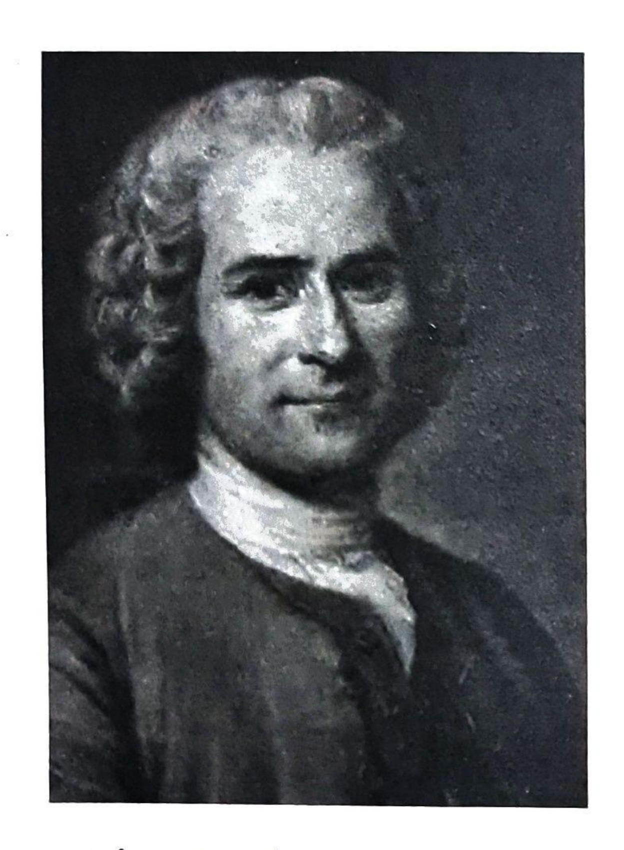
ليس كذلك، فما يتخلله الجنس يجب أن يعد علاقة جادة للغاية. أنا أعتبر الزواج مؤسسة مهمة للغاية.. [ولكن الجنس بالزواج أو من دونه] أخلاقي، مع الوضع في الإعتبار أن كلًا من الطرفين يأخذان العلاقة على محمل الجد، وهذا يستند على القيم.

---

(21). رغم محاولاتِ راند التدخّلَ، إلا أنه نجح في نشر "سيكولوجيا تطوير الذات" وباع أكثر من مليون نسخة حول العالم، مما جعلِه يكتب في ما بعد "سيكولوجيا الحب الرومنسي" و"كتاب أسئلة الحب وأجوبته".

جان جاك روسو

(1778 ـ 1712)



«ما هو الحب الحقيقي إن لم يكن مجرد أوهام؟ لو رأينا ما نحب على حقيقته فلن يتبقى حب على وجه الأرض».

كان فيلسوف التنوير الفرنسي **جان جاك روسو** يؤمن بأن الوضع الطبيعي للإنسان يعتمد على المجتمع، وقد كتب: «لقد ولد الإنسان حرًا، وما بعد ذلك يغدو مقيّدًا، لكن الطبيعة البشرية لا تعود إلى الوراء، ولا نعود أبدًا إلى أوقات البراءة والمساواة حين نغادرها». كما أنه

علينا الانصياع للأدوات السياسية كالزواج؛ فالأسرة المصغرة – المكونة من زوج وزوجة – تعتبر أسرة متكاملة للتماسك المجتمعي.

لكن حياته الخاصة لم تتخط فلسفاته المنشورة: إذ خاض روسو عديد العلاقات العاطفية، وعندما تكبر مسؤولياته يقوم بتجاهلها. فلم تكن مسؤوليات العائلة الصغيرة والالتزامات الواجبة على كل الرجال تناسب روسو.

ذكر روسو في مذكراته علاقاته العاطفية مع العديد من نساء الطبقة المخملية، مثل مادام دي لارانج، مادام دي سافوي، مادام دي وارنز. وقد قامت النبيلة وارنز بأخذ روسو إلى منزلها حيث عاش معها وأصبح ضيفًا في منزلها بعلاقة غير مشروعة، وكان روسو يعتبر وارنز حب حياته، لكنهما افترقا في النهاية عندما حصل على عمل في مدينة أخرى.

ورغم كثرة علاقاته مع صاحبات الطبقة المخملية، إلا أن أطول علاقة لروسو كانت مع تيريز ليفاسور، خياطة أمية التقى بها في مارس عام 1745. أنجبا خمسة أطفال، عائلة كبيرة إلى حدّ ما... أو لعلها كانت كبيرة، لو كان قد أبقاهم: فقد كان روسو يقوم بنفسه بالتخلي عن كل طفل من أطفاله الخمسة لمستشفى اللقطاء (مكان شبيه بجمعية الشباب المسيحيين للأطفال غير المرغوب فيهم). فقد كان يقول بأنه لو لم يفعل هذا لكان أطفاله سيتدخلون في أعماله الفلسفية المهمة .

لم يكن أيّ من روسو ولا ليفاسور مخلصًا للآخر، لكن بعد أن تخليا عن طفلهما الخامس عام 1768، قررا أن يتزوجا. لم يكن مسموحًا

بالزواج، إذ أن قران الكاثوليكي (روسو) والبروتستانية (ليفاسور) لم يكن معترفًا به في فرنسا في ذلك الوقت. بدا الأمر جيدًا لدى روسو، الذي كان لا يكاد يعترف بوجود ليفاسور أساسًا: فبدلًا من أن يشير إليها بأنها زوجته، كان يقول بأنها «خادمته». وقد أبقاها تحت مُسمّى «الخادمة» حتى وفاته عام 1778.

بكلماته

صفعًا جزيلًا



أفصح روسو عن ميوله الجنسية من خلال كتابتها في مذكراته (اعترافات)، والتي نشرت بعد وفاته. كانت رغباته الجنسية مخالفة بشكل كامل للقوانين الأخلاقية المتعارف عليها من خلال كتاباته الفلسفية، فأكثر مقطع كان يجسد شهوته الحيوانية بتصريح صادق عن تحرشاته الكثيرة، بالإضافة إلى المازوشية، صفع المؤخرة، والخيالات الجنسية.

في الـ«س» والـ«م»:

فأن أرتمي عند قدمي معشوقة آمرة، فأطيع ما تأمر به وأسألها العفو والسماح، كل ذلك كان لي مُتَعًا هنيئة. وكان خيالي كلما أجج دمي، بدت هيئتي أقرب ما تكون إلى هيئة العاشق الفاتر.

في صفع المؤخرة:

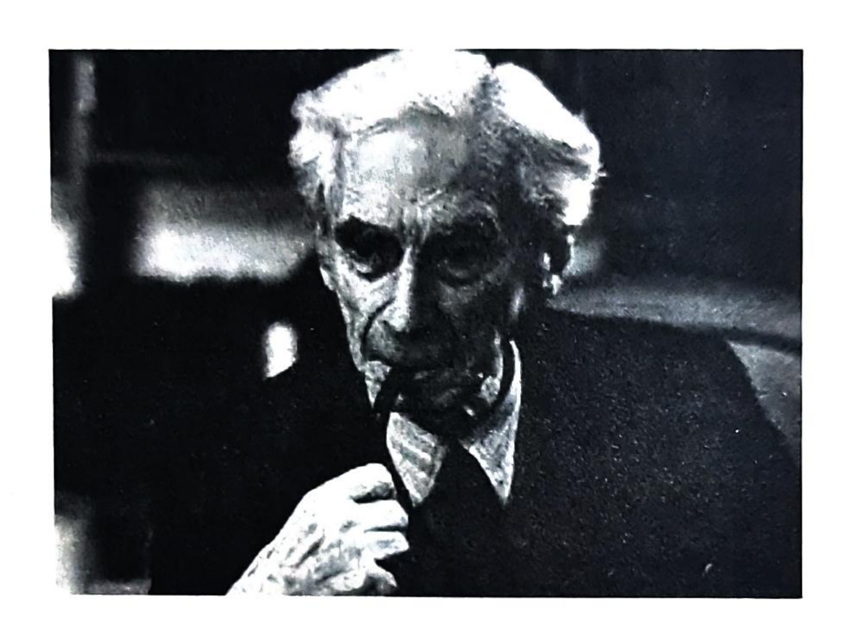
(كانت معلمتي الآنسة لامبرسير) تهددنا دومًا بأن (تصفع مؤخراتنا)، فبدا لي أن التهديد بقصاص لم أُبْتَلَ به من قبل هو أمر رهيب جدًّا؛ فلما أنزلت بي العقوبة، ألفيت مكابدتي إياها أقل رهبة من توقعي لها. والأغرب أن هذا القصاص قد زادني تعلقًا بالتي أنزلته بي... فمن يصدق أن العقاب المنزل على الأطفال، هذا الذي أنزلته بي فتاة في الثلاثين وأنا في الثامنة، قد حسم أمر أذواقي ورغباتي وأهوائي، وحسم أمري أنا ما حييت؟ والمؤكد أن ذلك هو على ضد ما وجب أن يكون عليه طبعًا.

في التعري أمام الغريب:

فكنت أمضي أريد بعض الدروب المعتمة والأماكن المتوارية حيث يتهيأ لي أن أعرض نفسي على بعض النسوان... وذلك أن اللذة الغبية، التي كنت أشعر بها إذ أعرض عليهن هذا الشيء، لا يمكن وصفها... فتظاهرت أوفرهن حكمة بأنهن لم يشاهدن شيئًا، وأخذ بعضهن في الضحك.

برتراند راسل

(1970 ـ 1872)



«يعتبر الزواج بالنسبة إلى غالبية النساء أكثر طرق الحياة المتعارف عليها، كما أن عدد المرات التي يمارس فيها الجنس غير المباح من النساء أكبر داخل إطار الزواج من الموجود في الدعارة».

كان الإنجليزي **برتراند راسل** رجلًا إنكليزيًا ذا مواهب متعددة، يعمل بالتناوب فيلسوفًا، وعالمًا بالمنطق، ومصلحًا اجتماعيًا ومؤرخًا. كما يُعَدّ كتابه المعنون «تاريخ الفلسفة الغربية» أساسًا لكل كتب التقصيات الفلسفية التي تلته (بما فيها هذا الكتاب). حاز راسل جائزة نوبل في الأدب عام 1950 « اعترافًا بكتاباته المختلفة والمذهلة، التي يدافع بها عن مثاليات الفكر الإنساني وحرية التفكير». وإن كان سيمنح جائزة مختلفةً، فإنه سيحظى بجائزة أشهر فيلسوف مزواج.

كان راسل يؤمن بأن الزيجات الفاشلة تدمر بشكل خاص الرجال المبدعين (مثله): «عندما يجبر [فنان] على أن يبقى على زواج لا يطاق بسبب خوف مجتمعي أو اقتصادي، فإنه سيفقد الطاقة التي يتطلبها الابتكار الفني». كان يناقش حقوقَ الطلاق بكل صبر، مشبهًا الزواج الفاشل بالسجن. وخلال حياته، تحرر راسل من ثلاثة سجون زوجية.

تزوج بـأليس بيرسل سميث (الزوجة رقم 1) حين كان عمره اثنان وعشرون عامًا، وظلا معًا قرابة السبعة وعشرين سنة. ثم تزوج دورا وينفيرد بلاك (زوجة رقم2) في عام 1921، وقد كان هذا زواجًا مفتوحًا: أي أن كلًا من الشريكين كان حُرّين في دخول علاقات جنسية أخرى خارج نطاق زواجهما؛ وعندما أصبحت دورا حاملًا من رجل آخر عام 1935، اعتبر راسل أن العهد الذي بينهما قد انكسر فطلقها. وبعد سنة، تزوج بـ باتريكا بيتر سبينس (الزوجة رقم 3)... وطلقها عام 1952.

كما كان راسل قد خاض علاقات علاقات جنسية محرمة مع امرأتين متزوجتين على الأقل، فقد كان مؤمنًا بأنه طالما كانت العلاقة «بالغة الأهمية» وليس هنالك أطفال سيتأثرون بذلك، فيجب أن لا يتم تجريم من يزني أو إدانته علنًا. لم يندم راسل على الأوقات التي قضاها برفقة النساء. وكما كتب في مذكراته:

يبدو لي أن الرجال يحتاجون إلى النساء والنساء يحتجن إلى الرجال، عقليًا وجسديًا. وبالنسبة إلي، فإني مدين لوجود النساء الذين قد أحببتهم، فلولاهن لكنت أصبحت منغلق الفكر بشكل أكبر.

لقد عاش راسل حياته لأجل ثلاثة أشياء: «الرغبة في الحب، البحث

عن المعرفة، والشفقة الكبيرة تجاه الناس الذين يعانون». وبعد أن عاش حياته يبحث، وجد أخيرًا حب حياته. فعندما صار عمره ثمانين سنة، استقر أخيرًا مع إيديث فينش (الروجة رقم 4). ورغم أنها كانت تصغره بثلاثين سنة، إلا أنهما كانا يعرفان بعضهما بعضا لأكثر من خمسة وعشرين عامًا. فكتب « رغم أن ما أعيشه حاليًا لا تستحق الحياة جماله»، عاش مع فينش حتى مات في الثامنة والتسعين.

بكلماته

آه يا عمر الشباب

♥

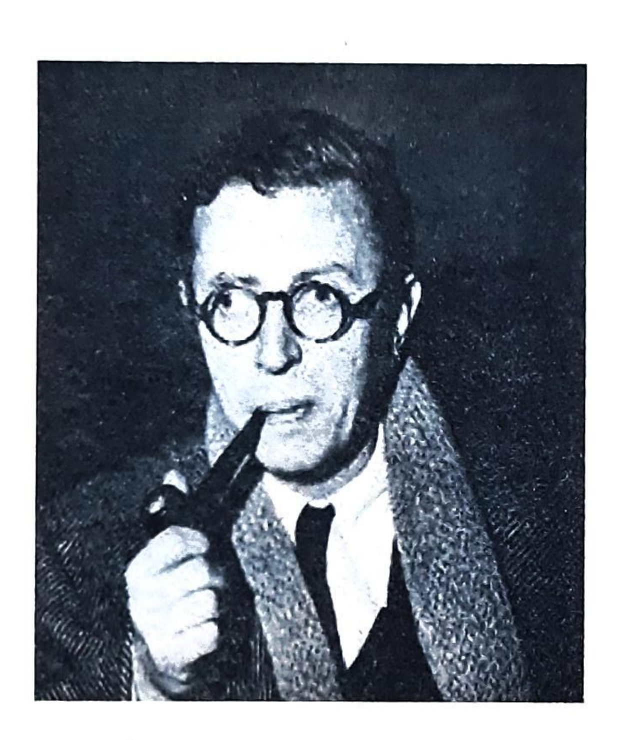
اختصر كتاب «الزواج والأخلاقيات» الذي نشر عام 1929 أفكار راسل الأولية في موضوع الزواج، إذ تنبأ بالمستقبل الذي يكون فيه الآباء أقل أهمية في المنزل. عندما يكون الآباء خارج الصورة والأمهات العازبات هن اللاتي يُدرن شؤون المنزل، كان راسل مؤمنًا بأن الحكومات ستتولى أمر التعليم ورفاهية المواطنين، وهذا ما سيمهد الطريق للانهيار الكامل للحضارة الغربية.

بعد خمسين سنة والطلاق ثلاث مرات، أقرّ بأنه أخطأ في الحكم:

لا أعلم رأيي بما يخص موضوع الزواج... قد يقلل الطلاق الهين من نسبة التعاسة أكثر من أي شيء ثانٍ، ولكني لم أعد قادرًا على التشبث بعقيدة ما بخصوص الزواج.

جان بول سارتر

(1905ـ1980)



«بالطبع يوجد نساء قبيحات، ولكني أفضّل الجميلات»

كان الوجودي الفرنسي جان بول سارتر بعيدًا عن الوصف بـ«**أديب دونجوان**» كما يصف نفسه. كما أن أول فتاة أعجب بها في المدرسة قد رفضته ودعته «العجوز الأحول»، مما صار بداية غير مبشرة بالخير من قبل الجنس الآخر. كما أن إمكانياته كرجل راشد لم تكن واعدة، فقد كان طوله 155 سنتيمترا، ويرتدي ملابس واسعة، ولا يعرف طريقًا للنظافة الشخصية.

كان سارتر يتخطى عيوبه بطريقة سحرية عن طريق تجاهلها

والتظاهر بالثقة. وقد اعترف بأنه كان في شبابه، «مكتئبًا جدًا، لأنني كنت قبيحًا، وهذا ما جعلني أعاني. ولقد تخلصت من هذا الشعور نهائيًا لأنه يشعرني بالضعف». وكل ما احتاج إليه لإغواء النساء هو شيء واحد Les mots :(الكلمات).

فقد عذريته في الثامنة عشرة مع امرأة متزوجة تكبره سنًّا، وقال: «لقد قمت بذلك من دون حماسة، لأنها لم تكن جميلة جدًا». كان يشعر أنه لا بأس بأن يكون قبيحًا، ولكنه كان يختار النساء اللاتي يضاجعهنّ وَفْقَ معايير عالية. الوقت ذاته، لم يكن يكن أي احترام لبائعات الهوى لأن «لا ينبغي على الفتيات أن يمنحن أنفسهنّ بهذا الشكل»... إلا أنه كان غالبًا ما يذهب إلى بيوت الدعارة مع أصدقائه بالجامعة.

عندما كان سارتر في الحادية والعشرين، وقع في حب جيرمين مارون وطلب يدها للزواج، فوافق والداها ابتداءً، ولكنهما أوقفا الزواج عندما رسب سارتر في اختبار المعلمين في صيف 1928. وقد كتب سارتر، «لقد كنت مرتاحًا حيال ذلك، فلم أكن واثقًا بأني قد تصرفت جيدًا في هذه العلاقة عمومًا».

وفي الواقع، لم يكن يتصرف «جيّدًا» خلال فترة خطوبتهما: فقد كان يخونها في علاقة مع سيمون جوليفييه، كاتبة مسرحية وممثلة تعيش في مدينة تولوز القريبة. وعندما قدم سارتر لجوليفييه زجاجة عطر، كان منزعجًا لأنها وضعتها على منضدة السرير بجانب أربع زجاجات أخرى من العطور التي قدمها عشاق آخرون. فقالت له غاضبة: «ماذا؟ هل تملكني؟ هل عليَّ أن أجلس هنا وأنتظر حضورك من حين إلى آخر إلى [تولوز]؟». بعد التفكير في الأمر، وافقها سارتر في الرأي. «لقد

كانت على حق بالطبع، وأنا أعرف هذا. واكتشفت أن الغيرة تعني حب التملك، ومن بعدها قررت ألا أغار على الإطلاق».

عندما كان يدرس عام 1929، في محاولة ثانية لنيل شهادة التدريس، التقى سارتر بطالبة زميلة له تدرس الفلسفة وتملك جميع المعايير التي يريدها: سيمون دي بوفوار. وصفنا الطريق الطويل والعاصف منذ لقائهما حتى دفنهما معًا في قبر واحد في باريس ولكن يكفي القول بأن طبيعة علاقتهما المفتوحة أتاحت لسارتر الحرية بأن يمارس علاقات مع من يشاء. كما أن شهرته الأدبية المتزايدة - باعتباره كاتب مسرحيات وروايات وسيناريو وناقدا - ضمنت له سيلا من الشابات اليافعات المتعطشات إلى معرفته.

لم تكن حياة سارتر العاطفية خالية من الدراما. فقد كان غالبًا ما يرى عددًا من النساء في الوقت ذاته، يواعدهنّ في أماكن مختلفة من خلال جدوله المشغول. (ومن المدهش أن يجد الوقت خلال ذلك للكتابة). إن تفاصيل علاقاته المختلفة مدوخة، ولكن هنا نبذة من كتاب هازل رولي «وجهًا لوجه» وهو مذكرات عن سارتر وبوفوار:

عاشت كل امرأة منهن حياتها معه لمدة عشر دقائق؛ ولم يرين بعضهن بعضا إلا لمامًا ولا واحدة منهن عرفت الحقيقة بخصوص حياته. فلم تعلم آرليت أنه، وبعد عطلة لمدة ثلاثة أسابيع كل عام «معها»، يذهب بعيدًا مع واندا لمدة أسبوعين أو ثلاثة، كما أن واندا لم تعرف أن سارتر ما زال يرى ميشيل. وحين نام عند بوفوار، أخبر واندا أنه ينام في البيت. كانت رسائله إلى واندا مليئة بالأكاذيب الصفيقة، إذ قال مرة إنه سيعود متأخرًا إلى باريس، بينما كان محبوسًا في قلعة بالنمسا.

وقد استمر بعيش أحلامه الفاسقة بالشكل الصحيح حتى نهاية حياته. وعام 1979، كان في الرابعة والسبعين من العمر، كان سارتر أعمى ودون أسنان، أخبر إحدى حبيباته دون عد بوفوار وصديقتها سيلفيا لوبون، «إن هناك تسعة نساء في حياتي خلال هذه اللحظة!». ليست نهاية سيئة لـ«**عجوز أحمق أحول**».

بكلماته

سرطانات سارتر البحرية



عندما كان في الثانية والثلاثين، أصيب جان بول سارتر بلعنة من سرطانات بحر. وكما قال لجون كريسي عام 1971:

بعد تعاطيّ المسكالين، أصبحت أرى سرطان البحر حولي في كل مكان. [ثلاثة أو أربعة منها] تلحق بي من الطريق إلى المدرسة. لقد اعتدت عليها. حتى أنني أصبحت أستيقظ صباحًا وأقول، «صباح الخير يا صغيراتي، كيف كان نومكن؟». كنت أتحدث إليهن طوال الوقت. وأقول: «حسنًا يا رفاق، نحن ذاهبون إلى القاعة الدراسية الآن، لذا على الجميع الإنصات والهدوء». ويكونون معي هناك، على الطاولة، منصتين بشكل تام، حتى يرن الجرس... لقد بقيت سرطانات البحر حولي حتى جاء اليوم الذي شعرت به بالملل من وجودها وقررت تجاهلها.

آرثر شوبنهاور

(1788_1860)



«الحب هو إرادة الجنس للبقاء على قيد الحياة، أو الحاجة إلى نشر الجنس البشري».

كان الألماني المتشائم العظيم آرثر شوبنهاور يعرف تمامًا ما الذي يريده بالنساء. «امرأة ممتلئة الجسم... [و] لديها ثديان كبيران ذا جاذبية نادرة»[22]. ولكن لسوء الحظ، كان يعتقد أنه لا يملك ما تبحث عنه النساء بالمقابل. ووفقًا لشوبنهاور، كل النساء يردن رجلًا

(22) . لم يكن الثديان لأجل شوبنهار بل لذريته: أي حضن كبير "يهب المواليد الكثير من الغذاء".

من الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين... إلا أن نقص العقل لا يشكل عقبة لدى النساء، بل إن القوة العقلية المفرطة، أو حتى العبقرية والفرادة، قد تعمل على عكس المرغوب، لذا غالبًا ما نرى القبيح الغبي يفوز على الوسيم الموهوب.

في النهاية، لم يكن هذا الأمر يعني الكثير لشوبنهاور، لأن كل العلاقات الغرامية محكوم عليها بالفشل على كل الأحوال. وقد كتب: «بعد أن ينال الرضى أخيرًا، سيصاب [كل عاشق] بخيبة أمل هائلة، وبعد أن يكتمل العمل العظيم، سيجد [كل عاشق] مخدوعًا، لأن الخيال سيتبدد».

لقد «أكمل» على الأقل واحدًا من أعماله العظيمة، وأصبح أبًا لطفلة غير شرعية من خادمة في دريسدن. لا يوجد في السجلات التاريخية أي ذكر لأسم المرأة أو الطفل - إذ نعلم بهذا فقط من رسائل قد أرسلها شوبنهاور إلى أخته، ومن الواضح أن العلاقة محصورة بذلك اليوم. وأن ابنته قد ماتت وهي رضيعة في 1819، ولم ير الخادمة مرة أخرى. (رغم أن هذه الطفلة هي الطفل الوحيد الذي حظي به، إلا أن شوبنهاور كان مؤمنًا بأنه «يمكن للرجل أن ينجب مئة طفل في السنة، إن حصل على هذا العدد نفسه من النساء تحت أمره»).

عام 1821، بدأ الفيلسوف الذي بلغ ثلاثين سنة يواعد مغنية الأوبيرا كارولين ريتشر ذات الثماني عشرة سنة. عُرفت علاقتهما العاطفية لأن هذه المرة كانت من النساء القلائل اللاتي أثرن انتباهه. خرب شوبنهاور علاقتهما بسبب نظرياته السوداوية عن الزواج، والتي أعطت معنى جديد لـ«الخوف من الارتباط»: «الزواج يعني أن تعطي

أحد الأطراف حقوقه، فيما تضاعف مسؤوليات الطرف الآخر». ولا غرابة في أن نقول إن كارولين تركت شوبنهاور.

أما بالنسبة إلى آخر محاولاته العاطفية، ركز شوبنهاور وهو في الثالثة والأربعين انتباهه على فتاة في السابعة عشرة من عمرها تدعى فلورا ويز. التقى بها في حفلة ومعه عنقود من العنب (يبدو أن الورود كانت غالية على فيلسوف يعمل بدوام جزئي). لم تكن مشاعرهما متبادلة: فكما أوضحت فلورا في مذكراتها، «لم أكن أريد العنب لأن شوبنهاور العجوز قد لمسه».

اشتاق شوبنهاور الوحيد والمتألم ليكون «مرتاحًا مع امرأة في مكانتها الطبيعية الصحيحة، المكانة الخاضعة». ولا يبدو أن البشرية يمكنها توقع الكثير من الجنس الناعم. وقد كتب في تحفته «misogyny» تحت عنوان «في النساء»: «إن أذكى شخصيات هذا الجنس بأكمله قد أوضحن بأنهن غير قادرات على إحراز عمل واحد حقيقي وعظيم وعبقري في الفن، أو عمل أي شيء آخر ذو قيمة باقية». وقد قال المحاضر الفلسفي اليكساندر روستل: «نستطيع أن نقول أنه لم يكن يزيد من فرصه مع [النساء] من خلال نشر تصريح كهذا بشكل واضح أمام العالم كله».

توفي شوبنهاور وحيدًا عام 1860، وقد يكون من الأفضل أنه لم يتزوج على الإطلاق، ففي حين أنه كان رجلا بائسا وهو أعزب، تنبأ بأنه سيكون أكثر بؤسًا لو أنه متزوج.

بكلماته

جاك وجيل صعدا تلّةً...

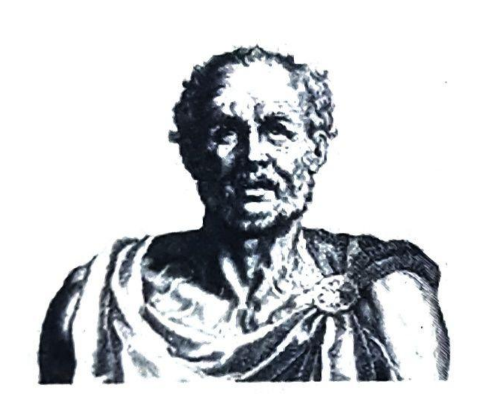


كان آرثر شوبنهاور يتردّد بقدر كبير في التفكير في الحب على أنه موضوع فلسفي مجبور على الكتابة عنه. فقد كتب شوبنهاور: «على الشخص أن يتفكر في أن المشكلة التي تلعب دورًا مهمًّا في حياة الانسان، كانت حتى الآن كل ما يشغل بال الفلاسفة».

وإلى جانب حب الحياة، أثبت [الحب الرومانسي] بأنه الأقوى والأكثر حيوية من كل الحوافز الأخرى: فالحب يعتبر نصف القوة ونصف الأفكار التي تشغل عقول صغار السن من البشر؛ وهو الهدف الأخير لكل المحاولات البشرية تقريبًا؛ وهو المؤثر الأول في كل العلاقات الغرامية؛ وهو ما يقاطعنا في كل ساعة ونحن غارقون في أعمالنا المهمة؛ ويجعل أصحاب العقول العظيمة غير متوازنة.. لا شيء مهدد بالخطر إلا أن على كل جاك أن يجد حبيبته جيل: لماذا لهذا الشيء الصغير أن يلعب دورًا كبيرًا، ويجلب التوتر والاضطراب لتلك العلاقات المضبوطة في الحياة؟

سينكا الأصغر

(حوالي 4 ق م ـ و65)



«الصداقة مفيدة دائمًا: أما الحب فقد يجرح أحيانًا»

نُفي الفيلسوف الروماني سينكا الأصغر[23] من روما عندما كان في الحادية والأربعين بتهمة الزنى مع إبنة أخ الإمبراطور كلاوديوس، التي تدعى جوليا ليفيلا، مثبتًا بأن الحب قد يجرح أحيانًا. (هذا صحيح خصوصًا إن كان الحب بين رجل في الأربعين وأميرة متزوجة في العشرين).

بعد أن عاش منفيًّا في جزيرة كورسيكا لثماني سنوات، تم إرجاع سينكا في التاسعة والأربعين بطلب من زوجة الإمبراطور (وأخت

(23) . كان والده، سينكا الأكبر، كاتبًا أيضًا. لكن سينكا الأصغر لم يرغب في الاستفادة من منجز والده، وكتب عن ذلك: "من يفتخر بنسبه يمدح إنجاز الآخرين."

جوليت)، أغريبينا. وفي الخمسين، تزوج سينكا امرأة ثرية، تدعى بومبيا بولينا، وبدأ بإعطاء دروس خصوصية لإبن أغريبينا الذي يدعى نيرو. وعندما توّج نيرو على عرش روما في الرابعة والخمسين، أصبح سينكا مستشاره السياسي.

اتسمت إدارة نيرو لعرش روما خلال الأربع عشرة سنة بالذعر والاضطهاد - بالإضافة إلى الكثير من الأعمال الوحشية، قتل والدته أغريبينا. لم يستطع سينكا أن يسيطر على تصرفات الإمبراطور، ووقف في صمت يشاهد طريقة حكمه الإرهابي قبل أن يتقاعد من منصبه، بعد ثمان سنوات من الخدمة.

و بعد أن أعد سينكا خطة للانقلاب على الإمبراطور في الخامسة والستين، طلب نيرو الفيلسوف وشركاءه ليقوموا بالانتحار طوعًا. ووفقًا للمؤرخ الروماني تاسيتوس، فإن سينكا قد أخبر زوجته بأن لا تسمح بأن يكون موته مجرد عبء: وإنما أن تبدأ باستقبال التعازي لفقدها زوجها والتأمل في حياته الفاضلة. أكدت له بولينا بأنها مُصرّة جدًّا على أن تموت معه، وطلبت منه أن يتشاركا السكين الحادة. كره سينكا فكرة أن يشاركها هذه اللحظة... وقال: «أنا أقدم لك رفاهية الحياة: وأنت تختارين شرف الموت. ويجب أن لا أحرمك من أن تصبحي مثالا»... ثم قطعا شرايين معصميهما بضربة واحدة بالسكين.

كان سينكا هزيلًا أصلًا من الصيام ومرّ بوقت صعب ليتدفق الدم من معصمه. وطلب من زوجته التي كانت تنزف، أن تغادر الغرفة. ثم طلب سينكا من طبيبه أن يعطيه سمًّا يعجل بموته: وقد أخفق السم في أن يقتله أيضًا. تم وضعه بعد ذلك في حوض ساخن حيث خنقه بخار

الماء ثم مات.

خلال ذلك الوقت، سمع نيرون بأن بولينا قد قطعت شرايين معصمها، فطلب أن يتم تضميد معصميها وأمر الأطباء بأن يبقوها على قيد الحياة. نجت من محاولة الانتحار، ولكنها بقيت «مخلصة لذكريات زوجها لأعلى درجة ممكنة، حتى أن شحوب وجهها وجسدها يشهدان بحجم تحطم روحها».

بكلماته

أراهن على أنك لن تستطيع أن تأخذ واحدة فقط



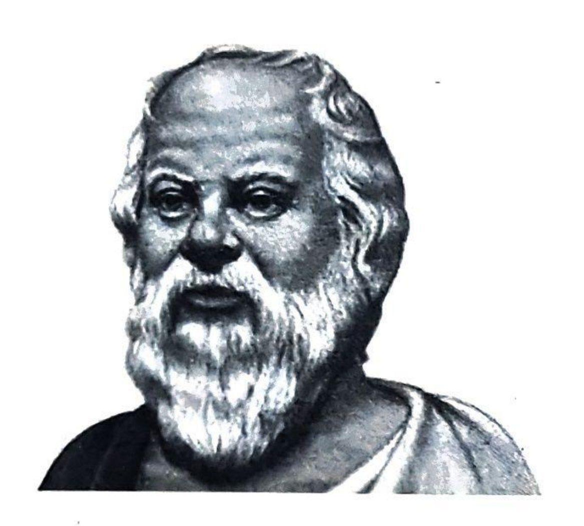
سخر سينكا الأصغر من الأخلاق الهادية التي رآها عندما تم تسميم بئر المجتمع الروماني:

هل يمكن لأي شخص الآن أن يشعر بالخزي من الزنى، في حين أنه لا يوجد امرأة تبقي زوجها معها إلا في حال كانت تريد أن تزعج حبيبها؟ فالعفة بمنظورهم تتطلب القبح. فأين يمكنك أن تجد امرأة خسيسة، مثيرة للاشمئزاز، راضية في حب يب واحد، من دون أن تحتاج إلى حبيب مختلف مع كل ساعة من ساعات اليوم: ولن يكون اليوم كافيًا لجميع عشاقها، إلا إن خرجت في نزهة على الأرض وقضت الليل كله مع واحد تلو الآخر.

ورغم أن هذا عمل ساخر، إلا أنه من الصعب عليك أن تقرأ كلماته دون أن تتذكر سبب نفيه.

سقراط

(469 ق م - 399 ق م)



«تزوج على أية حال. فإن حظيت بزوجة صالحة، ستكون سعيدًا. وإن حظيت بزوجة سيئة، ستكون فيلسوفًا».

كان الفيلسوف اليوناني **سقراط** رجلا مقرفصا بأنف أفطس وعينين جاحظتين، وكان كثيرًا ما يتمشى في شوارع أثينا ويدخل في نقاشات فلسفية مع المارة. وبغض النظر عن شكله وتصرفاته المستغربة، إلا أن سقراط كان معروفًا وله معجبون في كل أنحاء اليونان[24]. عاش حياته أعزبًا، وتزوج أخيرًا في الخمسينات أو الستينات من عمره.

كان عمر زوجته، الفاتنة زانثيب، وفقًا لبعض المعلومات، أكثر من الأربعين، أي أنها أصغر من سقراط. وبنقيض العادات اليونانية

---

(24). حتى حكمت عليه هيئة من أقرانه بالموت.

القديمة التي تُعرف بخضوع النساء، إلا أن زانثيب كانت توبخ زوجها الكبير علنًا. ووفقًا لأسطورة ما، فإنه بعد نقاش حادّ بين الشريكين، أخذت زانثيب ماءً متسخًا من الدلو ورشقت به رأس زوجها. عرف سقراط بأنه قد جلب هذا لنفسه، وقال مازحًا، «ها قد أمطرت بعد الرعد».

كان سقراط يأخذ تصرفات زوجته بصدر رحب. وقد قال، «لقد تعاملت مع كافة أنواع الناس، ولا أعتقد أن هنالك شيء يمكنهم فعله لإزعاجي، بعد أن عودت نفسي على تقبل طبيعة زانثيب». إن سمعة زانثيب بكونها زوجة مزعجة قد دخلت الآن كتب التاريخ: وقد قال عنها شيكسبير في كتابه «**ترويض النمرة**» بأنها دهاء ونقمة.[25]

تمت محاكمة سقراط عام 399 قبل الميلاد، لإفساده الشباب بفلسفته. قام بمعارضة التهم الزائفة ولكنه رفض أن يتوسل للرحمة، وقد وعد بأنه سيكمل فلسفته حتى تشهد المحكمة بأنه غير مذنب؛ إلا أن المحكمة قد أدانته وحكمت عليه بالموت.

كانت زانثيب مستاءة للغاية عندما واجهت خبر إمكانية اضطرارها إلى تربية أطفالهما الثلاثة وحدها. وفي اليوم الذي كان يواجه فيه سقراط عقوبة الإعدام، بكت بشدة أمام أصدقائه الذين كانوا يزورونه. قال سقراط لصديقه كريتون، «أرجوك دع أحدًا يأخذها إلى المنزل». وطلب بإبعاد جميع النساء، لأن سقراط كان مؤمنًا بأنه لا يوجد مكان للحزن أمام فراش الموت. وبالتفاف جميع أصدقائه وتلامذته الذكور، شرب سقراط كوبًا من الشوكران، وهو نبتة أوروبية سامة.

---

(25) . بات اسم زانثيب مرتبطًا بالنمور إلى درجة أن إحدى فصائلها مسمّى باسمها في شرق أفريقيا.

بدأت الدموع تنهمر على وجنات أصدقائه الذين كانوا صبورين عادةً. قال سقراط مرتابًا: «أنتم أصدقاء غريبون، ما الذي دهاكم؟ لقد أبعدت النساء لهذا السبب، لأوقفهم عن هذا البكاء. لقد سمعت أنه على المرء أن يموت بهدوء. لذا أرجوكم ابقوا هادئين وتحكموا بأنفسكم». بدأ سقراط يمشي في الغرفة حتى يسمح لمفعول السم أن يتخلل جسده، وأخيرًا استلقى عندما بدأ جسده يتخدر. وقد وجه كلماته الأخيرة لصديقه كريتون: «نحن مدينان بديك لأسكليبيوس. سدده. ولا تنسَ».

بكلماته

إنه فقط غير مهتم بك



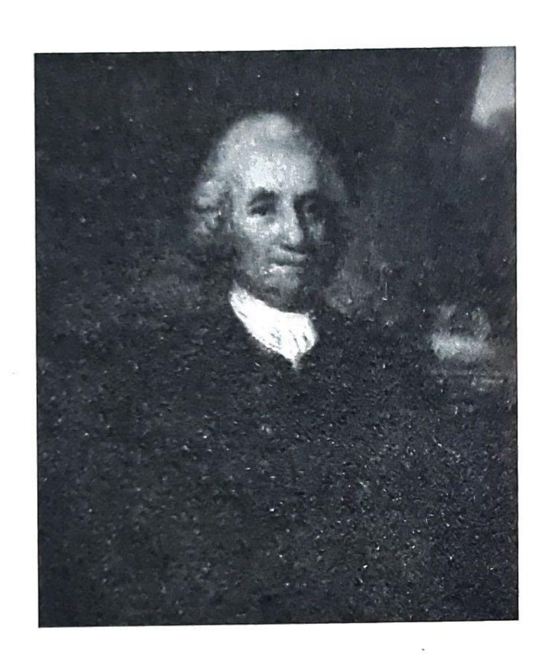
بعد العديد من اللقاءات، حاول الشاب الأثيني أليسيباديس إغواء سقراط العجوز. ورغم أن سقراط لم يكن غريبًا عن النوم مع الشباب اليافعين، إلا أنه لم يكن مهتمًا بدخول علاقة جسدية مع هذا الشاب على وجه الخصوص - حتى عندما كانا يتصارعان وهم عاريان، كان يظلّ سقراط غير مثار. وقد قال **أليسيباديس**، «لقد اكتشفت بأنه غير معرض لخطر أخذ الرشاوي أكثر من ايجاكس وهو تحت حدّ السيف».

وبخ سقراط هذا الفتى بلطف، مؤمنًا بأنه لم يبلغ سن الرشد حتى **يقدّر** بصيرة الفيلسوف الكبير:

يجب أن تشعرني بنوع مختلف من الجمال، ولكن النوع الذي أعنيه، **مختلف تمامًا** عن مظهرك الجميل... [فقد تتمنى] أن نقوم بتبادل - جمال بجمال - حسنًا! **هذا هو تبادل** «الذهب مقابل البرونز» القديم حقًا.

إيمانويل سويدنبورغ

(1688 ـ 1772)



«يعرف الرجل أن الحب موجود، لكنه لا يعرف ما هو الحب».

من المنطقي تمامًا أن الفيلسوف السويدي **إيمانويل سويدنبورغ** لا يعرف «**ما هو الحب**»: فطوال الأربعة والثمانين عامًا التي عاشها لم يحظ بتجربة معه.

قضى هذا الأعزب طوال حياته على سطح الأرض وهو يكتب عن الحب والزواج – لعلّ هذا غير مفاجئ – موضوع الإحباط الجنسي. كان سويدنبورغ يؤمن أن إحباط الدوافع الجنسية يسبب مشكلات اجتماعية أكثر من ممارسة الجنس قبل الزواج، في حين أنه لا يمكن أن يبقى حب الجنس لدى بعض الرجال منضبطًا دون الاستمرار بالعلاقة

غير الشرعية. ليس هنالك حاجة إلى سرد الجراح التي يتسبب بها ضبط النفس المفرط تجاه حب [النساء] لأولئك الذين... يعانون من فرط الرغبة الجنسية[26].

جعلته شهواته المكبوتة يعيش بأحلام إيروتيكية لامعة، وسجلها في مذكراته من 1743 إلى 1744. وفي أحد أحلامه الأكثر توهجًا، كان في علاقة ثلاثية مع امرأتين، واحدة أكبر منه والأخرى أصغر منه. أي واحدة منهما عليه أن يبدأ الجنس معها أولًا؟ كان هذا السؤال يشكل لغزًا في حلم سويدنبورغ أثناء الكتابة: هل عليه أن يستمر بعمله الأكبر الفكري أو أن ينزل إلى المسار الروحاني الجديد؟ لذا فقد اختار المرأة الأصغر، ثم قصد الطريق إلى دراساته اللاهوتية.

اتجه سويدنبورغ ذو السادسة والخمسين إلى مسعى روحي جديد بإيمانه بأنه يستطيع التحدث مع الموتى. بدأ مباشرة بكتابة أحاديث طويلة مع الميتين من أحبائه، كان شرحه لهلوساته وتهيّؤاته قد عزز كتاباته. فقد كتب: «أعرف تمامًا أن العديد منكم سيقول بأنه من غير الممكن لأي أحد أن يتحدث مع الأرواح والملائكة طالما أنه يعيش في جسد».

نشر سويدنبورغ أفكاره عن الحب في كتابه الأكثر مبيعًا بعنوان «الحب الزوجي». (وكان قد عرف «الحب الزوجي» بـ «الحب الروحي») وخلاف العديد من علماء الدين، فقد كان مؤيدًا للجنس

---

(26) . من المرجّح أن سويدنبورغ كان يتحدث عن ضيق الأوعية أو القساح، والأول عبارة عن تراكم مؤلم وغير ضار للسائل في الخصيتين والبروستاتا بسبب الإثارة الجنسية لوقت طويل، أما القساح فهو انتصاب مستمر يحدث بسبب أمراض وأدوية معينة (مثل الفياجرا)، وإن تركت بلا علاج فقد تؤدي إلى موت الأنسجة.

قبل الزواج، إذ قال «إن الجانب الروحاني بالحقيقة قد خرج عن نطاق الطبيعي، وفي حين أن الجانب الروحاني قد تطور، فإن الطبيعية تضغط عليه كما يضغط لحاء الشجر على الخشب وكما يدخل السيف في الغمد»[27]. بالإضافة إلى أنه قد جادل بشأن أن الزواج الأرضي ليس له إلا هدف واحد: وهو التكاثر حتى يملؤوا الجنة بسكان جدد. ورغم وجوب شجب الجنس ما قبل الزواج، إلا أن الجنة ذات مقدرة على الاستفادة دومًا من ملائكة جدد.

شوهد سويدنبورغ وهو على فراش الموت يتحدث إلى ملائكة معه في الغرفة معه، وكأنه يتحدث إلى أناس أحياء. وقد سأله أحد القساوسة عن سبب عدم رؤية غيره للأرواح، فأجابه البتول ذو الرابعة والثمانين أن هذا بسبب أن معظم الناس أصحاب «عقول شهوانية». لذا سنقول أن الملائكة قد شرفت سويدنبورغ بحضورها بسبب عفته العقلية والجسدية.

بكلماته

متعة الجنس مع الملائكة...



سمح خط إيمانويل سويدنبورغ المباشر مع الرب له باكتشاف شيء لا يمكن للبشريين مثله فعله: وهو ممارسات غرفة النوم لدى الملائكة.

تبين أن الزواج لا ينتهي عندما يفرقنا الموت. فقد كتب سويدنبورغ،

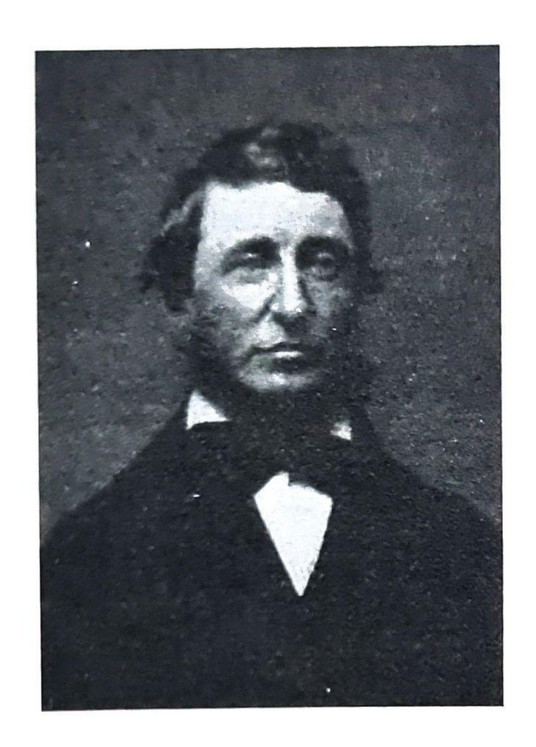
(27). ما من تورية هنا، فسويدنبورغ فعلًا فوق توافه الأمور كهذه.

«إن الأزواج الذين أحبوا زوجاتهن، يتساءلون بأنهم في حال ماتوا، هل سيرون زوجاتهن مرة أخرى، أم أنهم لن يلتقوا مجددًا». الثنائي المتزوج يلتقيان مرة أخرى في الجنة، وإن كان حبهما «حقيقيا وصحيحا»، فسيتمكنان من أن يعيشا في الجنة كرجل وزوجته، ويستمتعا «بأحاديثهما المعتادة التي كانا يجرونها على الأرض، ولكن بمتعة وسعادة أكبر». (على سبيل المثال، لا مزيد من المشاجرات على الأعمال المنزلية مثل غسيل الأطباق وأعمال حديقة المنزل). وإن استمر زوجان بالشجار في العالم الروحي (تحت أي سبب كان)، ستتمُّ معالجة الموضوع بسهولة: سيحلّ مكانهما زوج من الملائكة.

إن الحب في الجنة بين الأجناس المغايرة ليس حبًّا شهوانيًّا بل «حلاوة ملائكية». وقد قال ملاك حقيقي يحمل البوق لسويدنبورغ بأن الجنس موجود «في الجنة كما في الأرض: ولكن فقط لسكان السماء الذين تزوجوا الخير والحقيقة».

هنري ديفيد ثورو

(1817 ـ 1862)



«كم من الزيجات التي لن تحل لو أن المنطق السليم استشير؟».

عاش عالم الطبيعة الأمريكي هنري ديفيد ثورو حياة بسيطة في الغابة أو بجوارها، حيث يكون بعيدًا عن توافه الحياة الحضارية. وقد كتب، «يمكن للعقل دومًا أن يفسد عن طريق التعود على حضور الأمور التافهة، فبهذا تكون جميع أفكارنا عالقة بالتفاهة»[28].

بالنسبة إلى عالم طبيعة، كانت آراء ثورو عن الجنس محافظة بشكل

(28). يمكننا تخيّل ما كان سيقوله عن موقع فيسبوك.

مفاجئ. وقد كتب، «إن الحب والشهوة أمران مختلفان، أحدهما جيد والآخر سيء». في عالم أفضل، «سيعامل الجنس معاملة طبيعية وبسيطة... [كما] أن هناك الكثير من الطهارة، فإن هناك الكثير من النجاسة، وهذا واضح». فالحب الطاهر يوجد حيث يكون الاحترام متبادلا، الذي يرفع قدر المتعة إلى «أسمى الملذات».

لم تأت هذه الملذات المشتركة بشكل سهل بالنسبة إلى **ثورو**. فقد كان وضعه مناسبًا جدًّا ليعيش منفردًا في حين أنه كان «قبيحًا مثل الخطيئة، بأنف طويل، وفم رقيق، ومظهر ريفي وأخلاق جلفة مع بعض التهذيب، تشابه شكله إلى حد كبير»، وفقًا لجاره **ناثانيال هاوثورن**. فقد كانت سلوكه «الخشن» يتضمّن الأكل بيديه وندرة الاستحمام وارتداء الملابس الرثة.

وفي عام 1839، وقع كل من ثورو وأخيه في حب الفتاة نفسها، وهي صديقة للعائلة تدعى **الين سيوال**. كان والدها كاهنًا موحدًا، ولم يكن معجبًا بأي من الأخوين ثورو. تقدم جون لخطبة إلين أولًا، ولكنها رفضته. ثم جرب هنري حظه معها عن طريق رسالة. وعلى أن الرسالة لم تبق، إلا أن المكتوب في مذكراته بتاريخ 1 من نوفمبر عام 1840، يشابهها باللغة: «فكرت في أن شمس حبنا يجب أن تشرق بهدوء كما تشرق الشمس من البحر». ورغم كلامه المنمّق (أوقد يكون بسببه)، فقد أُجيب على طلب هنري للزواج بالرفض الرقيق.

بعد رفض تقدمه إليها، كتب هنري، «الحب أعمق الأسرار. ولا يعود الكشف عنه – حتى للحبيب – حبًّا». ثم فتن بالعديد من النساء خلال حياته، ولكنه لم يقع في الحب مرة أخرى. وكتب أنه «من النادر

حقًا أن نلتقي مع شخص نكون جاهزين لأن نرتبط معه بشكل مثالي، كما هي معنا». لم يتزوج ثورو أبدًا لأنه كان يعتقد بأن سيوال «الوحيدة» بالنسبة له.

بكلماته

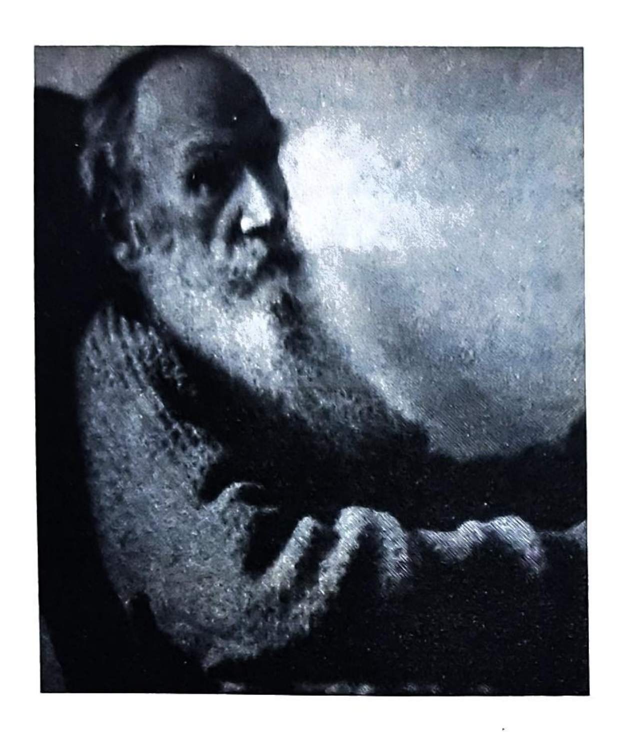
هنري المتحضر جدًا

♥

هناك نظرية لبعض الباحثين بأن ثورو مثلي الجنس، إذ كتب الصِّحافي نيكولاس كولياس بمجلة بويسي ويكلي، «لا تكتمل دراسة لسيرة ذاتية للكاتب دون تدوين احتمال أنه حتى وإن كان في الغابة، يكون ثورو مثليًّا لم يفصح بعدُ عن مثليّته». كان ثورو يهوى مشاهدة الرجال العارين وهم يسبحون، وقد كان يمتلك مكتبة كبيرة من الأدب الكلاسيكي للمثليين جنسيًّا، وكتب عناوين مشحونة جنسيًّا بالجريدة عن أجساد الرجال مفتولي العضلات وعن نباتات أشكالها تشبه القضيب. وقد كتب أيضًا الباحث والتر هاردنغ في مجلة «جورنال أوف هومو سيكسواليتي» « كانت تصرفاته وكلماته.. تركز على اهتمامات جنسية معينة في شخصيات من جنسه نفسه».

ليو تولستوي

(1828 ـ 1910)



«الحب غير موجود. توجد احتياجات جسدية للممارسة الجنسية، واحتياجات اجتماعية لشراكة في الحياة».

كانت أول علاقة جنسيّة للكاتب الروسي ليو تولستوي مع بائعة هوى عندما كان في الرابعة عشرة فقط، فقد أخذه أخوه إلى بيت دعارة ليستفتح رجولته. وبعد أن مارس الجنس مع بائعة هوى، انهار تولستوي بالبكاء. كانت بداية جنسيّة مشؤومة قد تحبطه لبقية حياته.

وكانت أول علاقة راشدة له مع خادمة في الثالثة والعشرين، تدعى اكسينيا اليكساندرفونا بازيكانا. كان تولستوي في ذلك الوقت في

العشرينات من عمره، وكتب: إنه «واقع في الحب كما لم يحدث من قبلُ». أصبح مغرمًا بأكسينيا، ولكنّ الزواج بين السيد والخادمة لم يكن قانونيًا في المجتمع الروسي في ذلك الحين. (فضلًا عن أنها كانت أساسًا متزوّجة). أنجبا طفلًا معًا، سمّياه تيمفوي، ولم يعترف به علنًا.

إلاّ أن تولستوي اشتاق ليكوِّن عائلة. وقد كان قرار تولستوي للسنة الجديدة عام 1859 حسب المذكرات، «يجب أن أتزوج هذه السنة، أو لن أتزوج على الإطلاق». ومرت تلك السنة دون قرع أجراس الزواج. وفي عام 1862، عندما كان يبلغ أربعة وثلاثين سنة، أُعجب بأختين قد نالتا اهتمامه، وقد كان اختياره الأول للزواج هي الأخت الصّغرى التي تدعى تاتينا. لم تكن أمّهما تريد الإبنة ذات الستّ عشرة سنة لتولستوي، بل أرادت له ليزا، الأخت الكبرى، التي سبق لها الزواج. لم يكن تولستوي مهتمًّا بليزا، وقد كتب، «كم ستكون جميلة بقدر تعيس لو أنها زوجتي».

قام تولستوي بمساومة عادلة وتقدم للأخت الوسطى، صوفيا اندريفانا بيرس. كانت «صريحة وفظّة» في عينيه ولكنها جذابة. وقد قال لصوفيا بأن شبابها وإشراقتها جعلاه يشعر بعمره و«عدم قدرته على الشعور بالسعادة». ورغم أن هذا الكلام كان اختيارًا فاشلًا من قبله، إلا أن اهتمامه بها كان كافيًا ليجعل قلب صوفيا يرفرف. وقد كتب المؤرخ أ. ن. ويلسون، «لم يكونا على دراية كافية ببعضهما بعضا ليعرفا إن كانا يحبّان بعضهما، ويبدو أنهما لم يتحابّا أبدًا. إذ وجدها غريبة وساحرة، ووجدته وحشيًّا ومرعبًا».

في يوم زفافهما، أعطى تولستوي مذكراته لعروسته، كاشفًا عن عالمه

المليء ببائعات الهوى والعلاقات الجنسية غير الشرعية وإصابته بمرض السيلان وخيالاته المثلية بتفاصيل دقيقة. وقد كتبت صوفيا بعد عدة سنوات، «لا أظن أنني قد تعافيت من صدمتي عندما قرأت مذكراته لما كنت مخطوبة به. لا أزال أتذكر الألم الذي شعرت به من الغيرة». ظلت صوفيا تبكي طوال ذلك اليوم، حتى في وقت حفل زفافهما. بعد انتهاء الحفل، وعندما ضمّت والدتها، قال لها تولستوي: «إن كان تركك لعائلتك يجعلك تشعرين بكلّ هذا الألم، إذًا لن تتمكني من أن تحبّيني جدًا».

في حين أنه كان يؤمن بأن العفة هي الحالة الأمثل للرجل، إذًا فإن ممارسة الجنس خلال الزواج لأجل سبب واضح وهو الإنجاب يكون الخيار الثاني (إذ لا يوجد تنظيم حمل بالنسبة إلى تولستوي). فعلى غرار العديد من رواياته المشهورة، مثل المجلدات الأربع لرواية «الحرب والسلم»، شارف تولستوي على أن يبني عائلة مشابهة لما كان يكتبه: إذ أنجبا ثلاثة عشر طفلًا، عاش منهم ثمانية. ولحسن الحظّ أن مبيعات كتبه كانت عالية، مما مكّن العائلة بأكملها من أن تعيش مرفّهة في منزل كبير.

كانت خلافات الزوجين مشتعلة على مرّ السنوات، وكان أغلبها بسبب بعض التفاصيل الرهيبة في مذكرات صوفيا والروايات التي تخفّت فيها السيرة الذاتية بشكل بسيط. ولم تتفاقم مشكلاتهما إلا عندما أصبح تولستوي متعصبا دينيًا وتخلى عن حياته الوجودية، وقد كان هذا في نهايات حياته. إذ انتقل للعيش في كوخ موجود في ممتلكات عائلته، في حين أكملت زوجته وأطفالها حياتهم في المنزل الكبير. وعندما حاول التخلّي عن حقوقه الفكرية لكافة أعماله، جنّ جنون صوفيا. فقد

كانت تريد أرباح أعماله حتى تستطيع أن تنفق على أسرتهما. لم تكن صوفيا قادرة على تقبل قسوة زوجها. وكتبت، «أريد أن أنتحر أو أعشق أحدًا... أو أي شيء كي لا يعيش مع من أحببته طوال عمري». كانت لها العديد من محاولات الانتحار وتهلكة النفس، بما في ذلك أكل السمّ (الآفيون والأمونيا)، الاستلقاء على سكة القطار، رمي نفسها في البئر، تجميد نفسها حتى الموت في سرير من الثلج في منتصف الشتاء؛ إلا أن محاولاتها لم تنجح. لم تكن تصرفات صوفيا تغير لدى تولستوي أي شيء. وقد كتب رسالة إلى أحد أطفاله، «إن كان هنالك أي أحد يتمنّى أن يغرق، فهو أنا وليس هي. أخبرها أنني أتمنّى شيئا واحدا فقط ـــ أن أتحرّر منها».

وذات ليلة من الليالي، ترك تولستوي الكوخ بشكل مفاجئ إلى الأبد، وكتب في رسالة بعثها إلى زوجته ذات الثمانية والأربعين سنة، كتب فيها، «أنا أفعل ما الذي يفعله الناس عادةً في عمري... أن أترك هذا العالم، في سبيل أن أقضّي أيامي الأخيرة وحيدًا في هدوء... لا أعتقد أنني قد تركت المنزل لأني لا أحبك. فأنا أحبك من كل قلبي. ولكن لا يمكنني أن أفعل غير الذي أفعله الآن». كان تولستوي مريضًا وفي صحة سيئة، وقد مات في محطّة سكة حديدية بعد عشرة أيام من تركه الكوخ. وفي أبعد ما يكون عن كونه «في وحدة وصمت»، أحاط به المئات من المتفرجين والصِّحافيين والمصوّرين، إضافة إلى زوجته، وقالت له وهي بجانبه على النعش: «سامحني، سامحني! لم أحبّ أحدًا في حياتي سواك».

بكلماته

شهر العسل قد انتهى



كتبت صوفيا روايته «**لحن كرويتزر**» بخطّ يدها. كانت هذه المهمة سيئة بالنسبة إليها بكل تأكيد، نظرًا إلى أن تفاصيل الرواية كانت تعكس رؤية تولستوي من زواجه منها:

كان العداء الحادّ هو الوضع الطبيعيّ بيننا.... فقد كنّا نتشاجر بشأن القهوة وشراشف الطاولة والمركبة وحتى لعبة الورق - أي التوافه، باختصار، مما لن تحوز في يوم على أقل اهتمام من أحدنا.

على كلّ الأزواج الذين عاشوا الحياة الزوجية التي عشتها، إما أن يخرجوا ويعيشوا حياة الفسق، أو أن ينفصلوا عن زوجاتهم، أو أن يقتلوا أنفسهم ويقتلوا زوجاتهم...

خط زمني

350ق. م – يطلق الريح، ويتبول، ويتبرز، ويستمني بالأماكن العامة على اعتقاد بأن «الطبيعي ليس خطأ». كان الرجال مندهشون، والنساء مرعوبات.

60 ق. م – يتعاطى تيتوس لوكريتيوس جرعة حب، ويقوده ذلك إلى الجنون.

41 م – يُنفى سينكا الأصغر إلى خارج روما بسبب نومه مع أميرة رومانية متزوجة.

385- ينهي أغسطينوس خطوبته من فتاة تبلغ من العمر عشر سنوات لأنه سمع صوتًا إلهيًا جعله يترك ملذات الحياة.

1118- يهجر أبيلارد زوجته هيلواز كي يصير راهبًا ويمضي مزيدًا من الوقت على دراساته، فيخصيه عمه المحافظ.

1250- تجلب عائلة القديس توما الأكويني بائعة هوى كي تغريه، فيصدها بعيدًا بحزام من نار.

1540- ينهي جون كالفن خطوبته من شابة تتحدث الألمانية لأنها فشلت بتعلم اللغة الفرنسية.

1634- يمارس رينيه ديكارس الجنس مع خادمة، ويصير والدًا لطفل غير شرعي. وقد كانت أول وآخر مرة مارس بها الجنس.

1766- يصاب نيكولا شامفور بمرض الزهري الذي يحدث ندوبات بشكله الجميل وشوه أعضائه التناسلية بما لا يمكن إصلاحه.

1768- يتخلى جان جاك روسو عن جميع أطفاله الخمسة بنفسه عن طريق

وضعهم بمستشفى للأطفال الغير مرغوب بهم.

1774- ينشر يوهان فولفغانغ فون غوته رواية رومانسية حزينة بعنوان «آلام الشاب فرتر»، وتدفع الرواية العديد من الشباب عبر أوروبا إلى الانتحار.

1784- تحرق زوجة دنيس ديدرو رسائل الحب التي كانت بينه وبين معشوقته صوفيا فولاند.

1800- ينجب جورج ويليام فريدريك هيغل طفلًا غير شرعي من زوجة صاحب البيت، ويفرّ هاربًا بسرعة.

1818- ينجب آرثر شوبنهاور طفلًا غير شرعي من خادمة في دريسدن خلال ليلة واحدة من الشهوة.

1826- يرمي أوغست كونت السكاكين على زوجته ويقطع رقبته على طاولة الطعام خلال انهيار عصبي. فتتركه زوجته أخيرًا بعد ستة عشر سنة وهي تعبة من تقلباته المزاجية.

1840- يرفض عرض هنري ديفيد ثورو الزواج من إلين سيوال، فيتخلى عن الحب إلى الأبد.

1841- ينفصل سيورين كيركيجور عن خطيبته ريجين أولسن خلال ثلاثة عشر شهرًا، ليبعدها عن ألمه الوجودي.

1862- يعطي ليو تولستوي عروسته مذكراته لتقرأها في يوم زفافهما، كاشفًا عن حياته المليئة ببائعات الهوى والعلاقات الجنسية الغير شرعية، وإصابته بمرض السيلان، وخيالاته المثلية بتفاصيل دقيقة.

1868- يرهن فيدور دوستويفسكي خاتم زوجته لأجل القمار، وتسترجعه بعد ذلك.

1872- يحاكَم الوزير الأشهر في تاريخ أمريكا، هنري وورد بيتشر، بالزنا، ويرفض أن يضع يده على الإنجيل للقسم، جاعلًا من تهمته في المحكمة رأي عام.

1889- يصاب فريدريك نيتشه بانهيار عصبي حاد لا يستعيد عقله معه أبدًا،

ويموت في عام 1900 جراء الزهري.

1895- يكشف فريدريك أنجلز على فراش الموت أن ابنه المشتبه به هو في الواقع ابن صديقه وشريكه كارل ماركس.

1921- يطلق برترند راسل زوجته الأولى.

1928- ينهي والدا جيرمين مارون خطبة جان بول سارتر منها لفشله في اختبار التدريس، لكن لا ينزعج سارتر كثيرًا لكونه ينام مع الممثلة سيمون جوليفييه.

1933- ينضم مارتن هايدغر إلى الحزب النازي على الرغم من أن عشيقته هانا أريندت كانت يهودية، فتهاجر إلى أمريكا.

1935- يطلق برترند راسل زوجته الثانية.

1942- يطلق ألبير كامو زوجته الأولى، سيمون هي، بعد اكتشافه أنها تمارس الجنس مع طبيب ليعطيها المورفين.

1952- يطلق برترند راسل زوجته الثالثة.

1952- يموت جون ديوي وحيدًا بعد أن نفرّت زوجته الثانية عائلته وأصدقاءه.

1955- تخوض أين راند علاقة غرامية مع طالب يدعى ناثينيل براندين، الذي يصغرها بخمسة وعشرون سنة.

1980- تتبنى سيمون دو بوفوار حبيبتها المثلية سيلفيا لوبون على أنها ابنتها.

1980- يخنق لويس ألتوسير زوجته حتى الموت «دون قصد»، فيقضي أقل من ثلاث سنوات في مصحة عقلية قبل أن يطلق سراحه ليعيش مع المجتمع.

أندرو شافر

فلاسفة عظماء فشلوا في الحب

ظلَّ الحبُّ مرضًا مزمنًا لدى كبار الفلاسفة والكتّاب والشعراء وتحوّل إلى مسألة فلسفية عبثيّة أرقّت كبار المفكّرين في العالم فتوّجت بعضهم بتجارب حبّ خلّدها التّاريخ ومزّقت آخرين بتجارب كان مصيرها الفشل والاكتئاب والانتحار في حالات عديدة. يقدّمُ أندرو شافر تجارب متنوّعة لفلاسفة أهدرَ الحبُّ حياتهم وقاد بعضهم إلى الجنون والانتحار واقتراف جرائم كبيرة فتحت الباب أمام أسئلة كثيرة تتعلّقُ بالفلسفة وعلاقتها بالحب بوصفهِ المحرّك الأزلي للعلاقات بين الأفراد. كيفَ أقدمَ ألتوسير على قتل زوجتهِ هيلين وكيفَ سقطت فلسفة القوّة لدى نيتشه أمام تجربتهِ مع المرأة وكيفَ عاشت سيمون دي بوفوار حروبها الجميلة مع جون بول سارتر؟

أسئلة كثيرة يطرحها هذا الكتاب، فيضعنا أمام مرآة من نوع آخر، تعيدُ طرح أسئلة كثيرة لها علاقة بتصوّرنا للحب ولفلسفته المجرّدة، التي لا تتوقّفُ عن دفعنا نحوَ الهاوية.

النّاشر



9 786039 149866

WWW.PAGE-7.COM